الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم
كلية العلوم الاجتماعية
شعبة الفلسفة

L.M.D

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص : فلسفة عامة

الموسومة ب:

النزعة الإنسانية في الفكر الإسلامي المعاصر
محمد أركون أنموذجا

من إعداد الطالبة :
بلقاسم فاطمة

إشراف الأستاذ :
د. عباس الشارف

السنة الجامعية : 2018- 2019

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم

كلية العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة

L.M.D

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الفلسفة تخصص : فلسفة عامة

الموسومة ب:

النزعة الإنسانية في الفكر الإسلامي المعاصر
محمد أركون أنموذجا

من إعداد الطالبة :

بلقاسم فاطمة

إشراف الأستاذ :

د. عباس الشارف

السنة الجامعية : 2018- 2019

قال تعالى:

"ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا".

سورة الإسراء الآية: 70

شكر وعرفـــان

أتقدم بالشكر الخالص للأستاذ المشرف **عباس الشارف** على إشرافه وتوجيهاته القيمة في إتمام هذا العمل.

كما وأشكر رئيس شعبة الفلسفة الأستاذ **حموم لخضر**.

وإلى كل الأساتذة وطلبة شعبة الفلسفة.

فـألف تحية وشكر

الإهــداء

إلى **أمــي**

التي أنجبت ... سهرت...ضحت وتحملت لتضيئ درب حياتي

إلى **أبــي**

الذي جفت يداه ليلين يداي كي أحمل بهما مشعل العلم

إلى **جدي** و**جدتي** رحمها الله

اللذان رافقاني طيلة مشواري الدراسي ولم يبخلا عليا من عطائهما المادي والمعنوي.

إلى **إخوتــي** حفظهم الله

مصطفى، خولة، بسمة.

إلى **الأصدقــاء** و**الصديقــات**

وكل من ساندني في إكمال هذا البحث المتواضع.

من قريب أو من بعيد.

فــاطمة

مقدمة

لقد انحسر الفكر العربي الإسلامي في الآونة الأخيرة في زاوية الجمود المعرفي،حيث لم يستطع الخروج من مأزق العصور المنحطة التي غلفت العقل الإسلامي آنذاك باسيجة مغلقة تغلب عليها الدوغمائيات الفكرية والنزاعات المذهبية والطائفية التي انتهكت كرامة الإنسان وسلبت حريته في التفكير وترقبه لمستقبل واعد مختلفا عما كان سائدا في الفكر التقليدي،فقد أصبح الإنسان في ظل هذه الفوضى والاضطراب يواجه الخوف من الحاضر والمستقبل والمصير وهذا ما جعل الذات العربية الإسلامية تعاني التغييب و التهميش الكلي في الوجود وتدخل ضمن خانة المسائل المستحيل التفكير فيها.

وفي خضم هذا الطرح جاء الاهتمام بالشأن الإنساني على نطاق واسع عربيا وإسلاميا من قبل العديد من المفكرين أمثال علي شريعتي،عبد الجبار الرفاعي ولعل أبرزهم المفكر الجزائري الراحل"**محمد أركون**" الذي شده القلق المعرفي على الواقع الإسلامي بالقياس بين ماضيه التنويري وحاضره المشتت بين الايدولوجيا و اليقينيات الدينية لسيما حسرته على تقدم الآخر ومسايرته لركب النهضة والتحضر في مقابل نحن المسلمين لا زلنا نتخبط في سباتنا العميق،هذا ما دفع **أركون** إلى اقتراح مسالك لعبور هذه الألغام المسننة بالجمود من خلال مشروعه الأنسنة الذي أرسى ركائزه برؤى فلسفية نقدية وبأطر منهجية وابستيمولوجية لم تحظى بهذا الطرح الجريئ من قبل.

فقد اعتلى الحديث عن النزعة الإنسانية موقع الصدارة في كتابات **محمد أركون** التي عبر عنها بثنائيات متضادة كالتراث لسبر اغواره والكشف عن أبعاده الانساوية وبعثها من جديد مستنجدا في ذلك بالمنهجية الأركيولوجية الفوكوية من جهة و ساعيا للحداثة و التجديد من جهة أخرى و منطلق هذه المفاهيم هو العقل بالدرجة الأولى و تفكيك بنية الوعي الإسلامي ليكون في مستوى معطيات الراهن في صورته الايجابية.

ولما كان مشروع الأنسنة **لمحمد أركون** يتلخص في كونه مشروع لتحديث وتنشيط الفكر الإسلامي،فقد حاولت تبيان حيثيات هذا المفهوم وتصور **أركون** لوضع أسسه على أرضية الإسلام .وعلى هذا الأساس فان الإشكالية التي سأحاول الإجابة عنها في هذا البحث يمكن صياغتها بالشكل الآتي:هل هناك أسس فكرية ونظرية لنزعة إنسانية في التراث الإسلامي؟وان وجدت فما مدى إسهام **أركون** في إعادة بعثها من جديد في الفكر الإسلامي المعاصر؟ وتنبثق عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية أهمها:هل تطور الأنسنة مرهون بتحرير العقل الإسلامي ؟ وماهي المعالم الفكرية التي استقى منها **أركون** مشروعه الأنسني؟وفيما تتجلى رهانات وآفاق الأنسنة الأركونية؟

أما أهم الفرضيات التي تطرقت إليها في بحثي هذا هي:

1-تحرير الفكر الإسلامي من دائرة التفكير الدوغمائي وجعل المستحيل التفكير فيه أمرا يمكن التفكير فيه في الفكر الإسلامي المعاصر.

2- تفعيل نزعة الأنسنة.

3-إحلال الأسس العامة لمشروع يلبي تحديات الحداثة على شاكلة الغرب"العلمنة، حقوق الإنسان،الديمقراطية".
أما سبب اختياري لهذا الموضوع الموسوم ب:"**النزعة الإنسانية في الفكر الإسلامي المعاصر محمد أركون أنموذجا**" هو الرغبة في التعرف والبحث عن حيثيات النزعة الإنسانية في تراثنا الإسلامي بعدما تم اختزال واهمال جذورها التراثية من مساحة التفكير من قبل مؤرخي الفكر وتصنيفها ضمن خزائن النسيان ،إضافة إلى اعتبار هذه الأخيرة من الإشكاليات الشائكة التي وجب التوقف عند مختلف جوانبها خاصة في ظّل غياب المبادئ والقيم الإنسانية في الوقت الراهن،فكان هذا بمثابة الدافع الذاتي،أما الدافع الموضوعي فيتمثل في إصرار وجرأة **أركون** في تناوله لأهم القضايا المجتمعية والفكرية في الساحة الإسلامية المتمثلة في قضية الأنسنة وسبك أبعادها التراثية حفرا وتفكيكا والوقوف على مراميها المستقبلية آملا في ذلك نهضة الحضارة العربية الإسلامية.

واستنادا إلى الموسوعية التي اتسم بها العطاء الفكري **لمحمد أركون** في الفكر الإسلامي المعاصر تعددت الدراسات الأكاديمية التي تناولته والتي استعنت بها في انجاز بحثي اذكر أهمها:

دراسة كيحل مصطفى: تحت عنوان"الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون".

فارح مسرحي:"الحداثة في فكر محمد أركون".

عبد الإله بلقزيز:"محمد أركون المفكر والباحث والإنسان".

نايلة أبي نادر: "التراث والمنهج بين أركون والجابري".

أما منهجيا فقد اعتمدت على المنهج التاريخي من اجل توضيح الجذور التاريخية لإشكالية النزعة الإنسانية عند **محمد أركون**،كما اعتمدت على المنهج التحليلي بغية التعمق والكشف عن المواقف الفكرية والفلسفية في تأسيسه لقضية الأنسنة في الفكر الإسلامي.

فيما يخص أهمية البحث فتكمن في الإستراتيجية الحفرية النقدية **لأركون** التي أزاحت النقاب عن الكنز الانساوي للتراث الإسلامي الذي طمّر في قاع النسيان ليفرض **محمد أركون** ذاته بإعادة بعثه في الفكر الإسلامي المعاصر برؤى وتطلعات جديدة واعتباره أن إشكالية النزعة الإنسانية هي إشكالية جوهرية وجب على العقل الإسلامي بلوغها لدخول المجتمعات الإسلامية تاريخ نهضة إنسانية من جديد.

ولمعالجة هذه الإشكالية التمست خطة تتضمن مقدمة فيها لمحة شاملة عن طبيعة الموضوع وثلاثة فصول مبينة كالآتي:

الفصل الأول:فصل تمهيدي موسوم ب:العقل الإسلامي عند أركون بين الأزمة ورؤية التجديد يتضمن ثلاثة مباحث **المبحث الأول :محمد أركون السيرة والتوجهات الفكرية** حاولت فيه تتبع السيرة الذاتية **لأركون** واستعراض تأثراته الفكرية، أما **المبحث الثاني بعنوان:أسباب ركود العقل الإسلامي في نظر أركون** كشف أركون عن مكامن الجمود الفكري الذي هدد العقل الإسلامي بمختلف تجلياته لأزمنة طويلة وتضمن يليه **المبحث الثالث بعنوان: من نقد العقل الإسلامي إلى تحرير التراث الإسلامي** استعرضت فيه مفهوم العقل الإسلامي عند **أركون** واعتماده على منهجية التحليل النقدي لهذا العقل وتفكيك سياجاته الدوغمائية بغية تحرر وخروج المجتمعات الإسلامية من واقع التخلف الذي تعيشه، ثم يأتي **الفصل الثاني بعنوان:المرجعيات الفلسفية للنزعة الإنسانية عند أركون** ينقسم هو الآخر إلى ثلاثة مباحث يتناول **المبحث الأول:مفهوم النزعة الإنسانية عند أركون** يليه **المبحث الثاني بعنوان:المرجعية التراثية الإسلامية للنزعة الإنسانية** حاولت فيه تبيان إسهام **أركون** إلى إعادة بعث تلك النزعة الإنسانية في التراث الإسلامي بالتحديد القرن الرابع هجري مع التوحيدي ،مسكويه ،ابن سينا ، أما **المبحث الثالث معنون بـ:المرجعية الغربية للنزعة الإنسانية كما جاء الفصل الثالث بعنوان الأنسنة الأركونية بين النقد والرهانات ويحتوي على مبحثين: المبحث الأول الأنسنة الأركونية في ميزان النقد** تناولت فيه ملاحظات نقدية للمشروع الأركوني ومدى ملائمته للعقل الإسلامي **والمبحث الثاني بعنوان:رهانات وآفاق الأنسنة الأركونية** عالجت فيه الآفاق المستقبلية لمشروع الأنسنة عند **أركون** وإمكانية تحقيقها في المجتمعات الإسلامية.

وأخيرا وضعت خاتمة تتضمن حوصلة شاملة لأفكار محمد أركون حول موضوع البحث.

ومن المسلم به أن أي باحث تعترضه عدة صعوبات في غمار البحث،فمن بين الصعوبات التي واجهتها تشعب مدونة **أركون** العلمية المتصلة بموضوع البحث والتي لا يمكن الإلمام بها بشكل تام،استعصاء فهم المعجم **الأركوني**

لغموض مصطلحاته،ضعف الترجمة مما كان عائقا في استخدام المصادر باللغات الأجنبية،لكن بقدر هذه الصعوبات أأمل من هذا البحث المتواضع أن أكون قد أمطت اللثام عن إشكالية لا زالت حديث الساعة في الوسط الإسلامي.

الفصل الأول

العقل الإسلامي عند أركون بين الأزمة ورؤية التجديد

المبحث الأول :محمد أركون السيرة والتوجهات الفكرية.

المبحث الثاني : أسباب ركود العقل الإسلامي عند أركون

المبحث الثالث : من نقد العقل الإسلامي إلى تحرير التراث الإسلامي

تمهيد:

لقد حاول محمد أركون من خلال مشروعه نقد العقل الإسلامي الكشف عن مكامن التخلف والجمود التي تجتاح الفكر الإسلامي المعاصر، إذ يرجحها أركون إلى هيمنة السلطة الدينية في العصر الوسيط بالتحديد عصر الانحطاط والتي شكلت عائقا أمام فتوحات الحداثة من علمية وفلسفية وتمجيدها للانغلاق الفكري والعقائدي، إذ أن التقليد لسياسة هذه السياجات الدوغمائية نتج عنه العنف ونوعا من الأنسنة المتطرفة. من هذا المنطلق فإن حفر أركون في جذور هذا الإخفاق يرتبط بتجديد الدعوة الإنسية التي تعبر عن روح الحداثة وتغيير مجمل الأطر الفكرية التقليدية التي تحد من حرية الفكر. وعليه فيما تكمن نظرة أركون للعقل الإسلامي؟

المبحث الأول: محمد أركون: السيرة والتوجهات الفكرية

إن من أبرز وجوه الفكر الإسلامي المعاصر الذين حاولوا قراءة التراث العربي الإسلامي والبحث في جذوره وحيثياته الدفينة والوقوف على أهم مرتكزاته التنويرية لإغناء الفكر الإسلامي المعاصر على اختلاف آفاقه وأبعاده المعرفية نجد المفكر الجزائري " **محمد أركون**".

"ولد محمد أركون عام 1928 في بلدة تاوريت ميمون (آيت يني) بمنطقة القبائل الكبرى الأمازيغية بالجزائر، وانتقل مع عائلته إلى بلدة عين الأربعاء (ولاية تموشنت)، حيث درس في مدارسها الإبتدائية".[1]

"ويذكر أركون أنه ظل لا يعرف إلا اللغة الفرنسية واللغة الأمازيغية، ولم يتعلم العربية إلا بعد خروجه من منطقة القبائل والتحاقه بمدينة وهران في الغرب الجزائري، ليعمل مساعد لأبيه في التجارة، ثم يتابع تعليمه بالمدرسة الثانوية في وهران، حيث انتقل بين الثانويتين وهما " أرديون" و"لاموسير" وفيهما أمضى دراسته الثانوية". [2]

وكان لهذا التحول أثره الكبير على شخصيته حيث يقول " **عندما خرجت من المنطقة القبائلية لألتحق بالمدرسة الثانوية في وهران بدأت تجربة المثاقفة المزدوجة والمواجهة الثقافية، كان علي من جهة أن أتعلم العربية وأكتشف المجتمع الناطق بالعربية وليس البربرية، ومن جهة ثانية كان علي أن أكتشف المجتمع الفرنسي المستعمر".**[3]

---

[1]-محمد أركون: الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي، تر: محمود عزب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2010، ص08.

[2]-كيحل مصطفى: الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص 24.

[3]-رون هاليير: العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب، الجهود الفلسفية لمحمد أركون، تر: جمال شحيد، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2001، ص 167.

"وبعد أن أنهى دراسته الثانوية بوهران التحق بجامعة الجزائر، حيث حصل سنة 1952 على شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي، كما تحصل على دبلوم الدراسات العليا حول الجانب الإصلاحي في أعمال طه حسين كان ذلك أول اتصال له بالفكر العربي الحديث ،كما اشتغل في تلك الفترة بالتدريس بثانوية الحراش بالجزائر التي كانت تعرف باسم ميزون كاريه [1] " لينتقل أركون إلى باريس ويكمل مسيرته العلمية في أهم جامعاتها ألا وهي السوربون، حيث بتدخل من المتشرق الفرنسي لويس ماسينيوس تمكن من الحصول على شهادة الدكتوراه التي كان عنوان أطروحتها" **النزعة الإنسانية العربية في القرن الرابع هجري: مسكويه مؤرخا وفيلسوفا وترجمت إلى العربية تحت عنوان «نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي»**"[2]كما انتسب بعد ذلك " **إلى الجامعة الفرنسية كأستاذ للتاريخ في الفكر الإسلامي، وبعد ذلك أستاذا زائرا في العديد من الجامعات الأوروبية والأمريكية المختلفة، وأنجز الكثير من الأعمال العلمية بالعربية والفرنسية والإنجليزية**".[3]

2.**التأثيرات الفكرية والثقافية:** يعود المنهج النقدي الذي استخدمه أركون في مشروعه الفكري إلى تلك المنهجيات المعرفية الحديثة التي تميزت بالتعدد، فهو لا يلتزم بمنهج واحد بعينه في معالجة نصوصه وبحوثه، فقد كان متأثرا بشكل غزير بمنهجيات وخبرات الثقافة الغربية إذ يقول: " **إن توجهاتي المنهجية المتعددة راجعة إلى فضولي الشخصي ومطالعتي الشخصية، ولي طبيعة تحب التردد على أولئك الذين ينشغلون في الحقول المعرفية المختلفة والمتعددة**" [4]،فقد طبق مناهج متداخلة الاختصاصات لفهم الموروث الإسلامي كمناهج علم الألسنيات الحديثة،علم الاجتماع،علم النفس،علم الأنثروبولوجيا الدينية،علوم الأديان المقارن...الخ.

ويمكن الإشارة هنا إلى خطاطة التأثرات الفكرية والثقافية لدى محمد أركون مبينة كالآتي :

---

[1]-كيحل مصطفى، مرجع سابق، ص 24.

[2]-نايلة أبي نادر: التراث والمنهج بين أركون والجابري ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ،بيروت، ط1، 2008، ص 456.

[3]-كيحل مصطفى،مرجع سابق، ص26.

[4]-محمد أركون :الفكر الإسلامي نقد واجتهاد،تر : هاشم صالح ،لافوميك ،الجزائر،د/ط،د/س،ص 247.

1)عربيا :

فقد تأثر بكتابات و أراء : "رفاعة الطهطاوي ، أمين الريحاني، طه حسين ، محمد أحمد خلف الله، نصر حامد أبو زيد ، صادق جلال العظم"[1]وبوجه الخصوص إعجابه بأطروحات إدوارد سعيد حيث يقول عنه أنه" **ذا موهبة خصبة وفريدة من نوعها كان فلسطينيا وكانت مواقفه عن فلسطين والسياسة الإسرائيلية دائما نيرة ونافذة البصيرة بشكل مدهش وبالإضافة إلى صداقتنا التي لا تشوبها شائبة كنا نتشاطر أفكار كثيرة (...)، أقول ذلك وبخاصة عندما تكون العلاقة مع شخص من أمثال إدوارد سعيد، فقد كانت لديه خصال عديدة تستحق الإعجاب والود**".[2]

2) أوروبيا:

تأثر أركون في بداية حركته الفكرية والثقافية الغربية بمدرسة الحوليات التي أسسها الأستاذ الفرنسي لوسيان فيفر في الجزائر والتي أحدثت لديه يقظة فكرية في اكتشاف مناهج جديدة كفيلة بإخراج العقل العربي من التفكير التقليدي.

وفي هذا الصدد يذكر أركون تلك المحاضرة التي ألقاها لوسيان فيفر سنة 1951 التي أثارت انتباهه وفتحت ذهنه وأتاحت له الطريق الذي يسلكه مستقبلا يقول عنها أركون "**ولولا مجيء لوسيان فيفرمن باريس وإلقاءه لتلك المحاضرة العصماء وحضوري إياها بطريقة تشبه الصدفة لربما بقيت نائما كغيري دون أن أحس بشيء**". [3]

إلى جانب ذلك يستشهد أركون بمدرسة الآنال في فرنسا التي ساهمت هي الأخرى بتحريره فكريا وتزويده بسلاح ثقافي لحل مشكلات مجتمعه الجزائري من روادها فرنان بروديل وليفيبي ستروس، ولايفوتنا ذكر تتبعه

---

[1]-ليث العتابي: جدلية الإيديولوجي والمعرفي، قراءة وتحليل لجملة من أطروحات محمد أركون ، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة ، ط1، 2016، ص 38.

[2]-محمد أركون: التشكيل البشري للإسلام مقابلات مع رشيد بن زين وجان لوي شليجيل، تر: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1 ، 2013، ص 58.

[3]-محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، مصدر سابق، ص ص 247، 248.

لمنهجية الألسنيات في الستينات التي ظهرت مع سوسير، وجاكبسون وبنفيست...إلخ.

يقدم أركون دليلا على تأثره بهذه المنهجية قائلا: **"كان للألسنيات أهمية كبرى بالنسبة لي وذلك لسبب خاص. فيما أني مؤرخ للفكر العربي الإسلامي، فإنني أشتغل باستمرار على النصوص القديمة. إذن، فأول شيء مطلوب مني كمؤرخ هو أن أعرف كيف أقرأ نص ما".**[1]

كما تأثر بالفيلسوف الفرنسي ميشال فوكو واستخدامه لكثير من أدواته ومصطلحاته لسيما أركيولوجيته الحفرية التي استند عليها في التنقيب واكتشاف المسكوت عنه في التراث الإسلامي، إضافة إلى اعتماده على تفكيكه جاك دريدا بهدف معرفة كيفية بناء وتشكل الظواهر البشرية.

1)استشراقيا:

فقد تأثر بكتابات وآراء "غوستاف فايل، لويس ماسينيوس، إدوار سيل ،نوكلده ، ريجيس بلاشير برجشتراسرا، سبايرجريفنا، روبنسون، شيفالي، بيل وغيرهم.

أما على المستوى التاريخي فيمكن أن نعد أبو حيان التوحيدي ومسكويه كأبرز من تأثرهم".[2]

إن سعي أركون إلى تلقي هذا الركام المعرفي الهائل يهدف إلى مقارعته للتخلف الذي شهدته المجتمعات الإسلامية. وخلق بيئة حضارية إسلامية تمضي نحو التقدم والازدهار فكريا وعلميا.

3) مؤلفاته:

يعد أركون من المؤلفين الذين لهم ثراء معرفي واسع تجلى في مختلف كتبه التي نسخت معظمها باللغة الفرنسية وترجمت إلى العربية حيث ضمت في طياتها إشكاليات متعددة فلسفية، تاريخية، سياسية...إلخ نذكر أهمها:

---

[1]-محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، مصدر سابق، ص 249.

[2]-ليث العتابي : مرجع سابق، ص 38.

1) الإسلام الأصالة والمعاصرة.

2) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد.

3) العلمنة والدين.

4) من الإجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي.

5) نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي.

6) قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟

7) معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية.

8) الفكر الإسلامي قراءة علمية.

9) نافذة على الإسلام.

10) الإسلام اليوم الغد.

مقالاته:

1) نحن وإبن خلدون.

2) الإسلام وحقوق الإنسان.

3) حول الأنثروبولوجيا الدينية.

4) التراث والموقف النقدي التساؤلي.

5) الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا.

6) الإسلام والحداثة.[1]

"لقد كانت وفاة محمد أركون في يوم 14 أفريل 2010 ميلادي عن عمر ناهز 82 عاما بعد معاناة مع المرض في باريس ودفن في المغرب".[2]

---

[1]-أحمد فاضل السعدي: القراءة الأركونية للقرآن الكريم دراسة نقدية ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ط1، 2012، ص ص 46، 47.

[2]-ليث العتابي :مرجع سابق،ص35.

المبحث الثاني: أسباب ركود العقل الإسلامي

قبل الخوض في الأسباب التي أدت إلى جمود العقل الإسلامي وابتعاده عن جادة التفكير المنفتح عند أركون، لا بد أن نشير إلى مفهوم العقل الإسلامي.

مفهوم العقل الإسلامي:

العقل الإسلامي حسب أركون ما هو "**إلا صيغة العقل ... إنه ليس عقلا أبديا أو أزليا وإنما عقل تاريخي له نقطة تشكل وبداية ونهاية، مثله مثل أي عقل في التاريخ**"[1] فهذا العقل بالنسبة لأركون تؤطره حيثيات الزمان والمكان، شأنه في ذلك شأن العقول الأخرى التي تحكمها الضرورة التاريخية.

ويضيف أركون قائلا: " **وعندما أقول العقل الإسلامي فإني أقصد العقل العربي والعقل التركي والعقل الإيراني والباكستاني والأفغانستاني ... إلخ. أقصد كل عالم الاسلام** "[2] وفي السياق ذاته يؤكد محمد أركون " **أن العقل الإسلامي لا نعني به هنا عقلا خصوصيا مميزا أو قابل للفرز والتمييز لدى المسلمين عن غيرهم. فالعقل بالمعنى العام ملكة مشتركة لدى كل البشر**"[3] أي أن العقل خاصية يمتاز بها كل إنسان بغض النظر عن جنسه أو ثقافته.

لقد قام أركون بحفر أركيولوجي للكشف عن أسباب المرض الذي أصبح يهدد العقل العربي الإسلامي المعاصر والجمود الذي يعتريه، وذلك بهدف تنشيطه وتوجيهه صوب القضايا المجتمعية المنسية في الساحة العربية الإسلامية. من هذا المنطلق يرجح أركون فرضية توقف العقل الإسلامي إلى قطيعتين:

[1]- محمد أركون : نحو تقييم واستلهام جديدين للفكر الإسلامي، مجلة الفكر العربي لمعاصر، مركز الاتحاد القومي، بيروت، العدد 29، 1984، ص 43.

[2]- محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟ تر: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت،د/ط، د/س، ص 290.

[3]- محمد أركون: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1، 1991، ص18.

يقول محمد أركون في هذا الصدد: " **أن العرب بشكل عام يعانون اليوم قطيعتين مزدوجتين على مستوى الخلق والإبداع لا قطيعة واحدة، الأولى بالقياس إلى الفترة المنتجة التأسيسية من تراثهم (القرون الهجرية الخمسة الأولى). التي يعتقدون أنهم يعرفونها في حين أن الواقع غير ذلك أبدا، والثانية بالقياس إلى العقلانية الغربية ومغامراتها الخلاقة بدءا من القرن السادس عشر حتى اليوم**"[1] يقصد أركون أن العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية رمي اليوم في بوتقة النسيان، حيث انقطعنا عن حركة الإبداع والتفكير العقلاني المنفتح. إضافة إلى النظرة الدونية للآخر (الغرب) المتفوق علميا وعمليا. وفي السياق ذاته يقر أركون " **أن سبب التخلف العربي خصوصا والإسلامي عموما يعود إلى موت الفلسفة والفكر النقدي الحر عنده وانتعاشه على الضفة الأخرى من المتوسط لدى الأوروبيين**"[2] **فبعد موت ابن رشد وتكفير الفلسفة والفلاسفة بالإضافة إلى المعتزلة وسواهم هيمن الظلام على العالم الإسلامي ودخلنا عصور الانحطاط الطويلة**"[3] يرى أركون أن من بين الدوافع التي أدت إلى تخلف وتقهقر العالم الإسلامي هو الرفض والتعصب لإبداعات الحداثة ورميها في ساحة اللامفكر فيه باعتبارها هرطقة أو كفرا. حيث يؤكد أركون " **أن الإيديولوجية القومية من جهة والمطالبة بالعودة لإسلام أسطوري من جهة ثانية، يمارسان اليوم على العقل الضغط نفسه الذي مارسته عليه في العصر الوسيط، السلطة العقائدية الدينية**"[4]. والمقصود هنا حسب محمد أركون " **تقليد تعاليم التراث المقطوعة عن حركة الاجتهاد الفكري الذي ساد المرحلة المبدعة من تاريخ الإسلام**"[5] أي أن السلطة الراهنة والعودة إلى تقاليد العصور السيكولاستيكية ضيق مساحة

[1]- محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، تر: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط2، 1996، ص 9.

[2]- محمد أركون: تحرير الوعي الإسلامي نحو الخروج من السياجات الدوغمائية المنغلقة، تر: هاشم صالح، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت،ط1، 2011، ص ص 35-36.

[3]- المصدر نفسه، ص36.

[4]- محمد أركون: نافذة على الإسلام، تر: صياح الجهيم، دار عطية للنشر، بيروت،ط1،1996،ص149.

[5]- محمد أركون: تحرير الوعي الإسلامي نحو الخروج من السياجات الدوغمائية المنغلقة، مصدر سابق، ص 96.

العقل وغلق باب الإجتهاد بسياج دوغمائي بعد أن كان يشتغل في العصر الكلاسيكي المتنور، لخص محمد أركون هذا الوضع في جملة العوائق التي أنتجت انسدادا وخمودا في الفكر الإسلامي والتي لا تزال مستمرة حتى اليوم يمكن حصرها في النقاط التالية:

1)- المستحيل التفكير فيه:

يرى أركون أن العديد من القضايا والإشكاليات في التراث الإسلامي بقيت مهمشة ومسكوتا عنها، ودخلت حيز المستحيل التفكير فيه، يقول أركون في هذا الصدد "**أقصد بالمستحيل التفكير في كل ما حذفه الفكر الإسلامي من دائرة اهتماماته منذ القرن الثالث عشر على الأقل، ومن المعلوم أن هذا الفكر كان قد تكلس عندئذ وتحجر ودخل في شرنقة الأرثوذكسية الجامدة المغلقة، وأصبحت الأشياء التي يمكن التفكير فيها أقل بكثير من الأشياء التي يستحيل التفكير فيها**".[1] من خلال هذا المعنى يتبين "**أن هناك الكثير من الإشكاليات والموضوعات، التي ترتبط بالإنسان مازالت لم تطرح بعد للحوار والنقد ولازالت تحاط بهيبة كبيرة، أي أنها ممنوعة من البحث والتنقيب**"[2]. فحسب أركون هناك عوائق تحول دون الاهتمام بالشأن الإنساني. وفي السياق ذاته يؤكد أركون أنه " **ينبغي علينا أن نعترف عندما نفتح أعيننا على المجتمعات الإسلامية والعربية، أنها خالية من الحريات، فحرية التعبير مفقودة، وحرية الصحافة كذلك، وحرية التعليم والتربية ولا شيء مضمون فيما يخص حقوق الإنسان**"[3] وهذا يدل على وجود عقول منغلقة في المجتمعات الإسلامية تقف عكس تيار الحضارة والرقي.

[1]- محمد أركون:الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2، 2011، ص44.
[2]- كيحل مصطفى: مرجع سابق،ص54.
[3]- محمد أركون: العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط3، 1996، ص97.

2)- الأرثوذكسية:

إن من المعتقدات التي تتسم بها الإسلامويات التقليدية اللاهوتية والفقهية، والتي تقف عقبة أمام الإبداع الفكري نجد المعتقد الأرثوذكسي المتشدد، فالأرثوذكسية كمصطلح " **هي الرأي المستقيم أو الصحيح**"[1] وهي من هذا المنطلق " **بمثابة النواة العقائدية الصلبة والمغلقة على ذاتها لدين ما، أو لإديولوجيا ما أو لاتجاه سياسي ما، والتي ترفض كل ما يقع خارجها، وتعتبره انحراف عن الصواب، أو ضلال وزيغ**"[2]فهذا المعتقد المتزمت يقدم تعاليمه على أنها حق وما دونها خاطئ.

وحسب أركون فإن أفكار هذا المعتقد ترسخت في العقول البشرية في فترات زمنية طويلة إذ اعتبرت نفسها المثل الوحيد للإسلام، لكن في الواقع ما هي إلا " **عبارة عن مجمل القرارات التي اتخذت بالصدفة وعلى هوى الظروف والأوضاع من قبل الفقهاء ثم سجلت في نصوص مقدسة على هيئة صياغات لغوية كأجمع أهل القبلة وأجمع المسلمون في الواقع، إنها مقدسة من قبل الزمن**"[3] إن هذا الإجماع الذي عرفته المذاهب الفقهية في التراث الإسلامي ناتج عن خلفيات اجتماعية وثقافية وجملة من الجدالات العقيمة والثنائيات المتصارعة التي أدت إلى انتقاء بعض القرارات في نصوص مقدسة وحذف بعضها الآخر وهيمنة إكراهات إيديولوجية وضغوطات سياسية، وهذا ما يطلق عنه حسب أركون بالجماعات الأرثوذكسية المؤيدة للوعي الخاطئ، حيث يقول في هذا الصدد " **إنما تشكل بمبادئها وصياغتها القطعية نوعا من الحجاب الحاجز الذي يحول دون رؤية الأمور كما جرت عليه بالفعل طيلة القرون الهجرية الأربعة الأولى**"[4].

[1]- كيحل مصطفى: مرجع سابق، ص 107.
[2]- المرجع نفسه، ص 107.
[3]- محمد أركون: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، مصدر سابق، ص ص 78-79.
[4]- محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص 08.

ويضيف أركون قائلا:" **فكل فتوحات الحداثة، من علمية، فلسفية أو حتى لاهوتية دينية، تعتبر بدعة أو هرطقة أو كفرا بالنسبة للوعي الإسلامي التقليدي الذي لا يزال يسيطر إلى الآن على قطاعات واسعة من المجتمعات العربية الإسلامية**"[1]بمعنى أن الوعي الإسلامي أصبح منغلق على النقاش المنفتح والحوار النقدي الذي تمتاز به الموضوعات الحداثية العقلانية.*

3)– الدوغمائية:

يؤكد أركون أن العقل الديني لدى المسلمين يمثل الأصل الإلاهي، حيث أن حقائقه واحدة في كل زمان ومكان لا تتغير فهي معصومة ومقدسة ولا يمكن المساس بها. وهذا ما يحيلنا إلى ما يسمى **بالدوغمائية "التي هي مذهب من يثق بالعقل وبقدرته المطلقة على إدراك الحقيقة والوصول إلى اليقين وهي بهذا المعنى مقابلة للريبية والدوغمائية عموما، هي صفة من يثق بنظرياته ويعترف لها بسلطان عظيم دون التفكير في إمكان اشتمالها على الخطأ والضلال."**[2] أي أن المذهب الدوغمائي يمتاز بالتعصب والتشبث بأفكاره رافضا بذلك كل ما يقع خارج منظومته العقادية.

وقد قام هاشم صالح بوضع مقدمة لكتاب أركون "**الفكر الإسلامي قراءة علمية "بعنوان بين الأرثوذكسية والعقلية الدوغمائية، حيث رجع إلى الباحث " روكيش ميلتور**" Milton- Rokeach لضبط خصائص العقلية الدوغمائية، حيث انطلق من مفهوم الصرامة العقلية la rigidité mental ليصل إلى تحديد الدوغمائية، فالصرامة العقلية عنده "**هي عدم قدرة الشخص على تغيير جهازه الفكري أو العقلي**

[1]– محمد أركون: تحرير الوعي الاسلامي نحو الخروج من السياجات الدوغمائية المنغلقة، مصدر سابق، ص36.

***العقلانية**:هي الاتجاهات والمذاهب التي تجعل العقل المصدر الأول أو الأساسي والمقدم في مصادر المعرفة والفكر الديني أو تقدمه وتحكمه على الوحي: كما وتطلق العقلانية في المصطلح الإسلامي على ولائك الذين يجزون تقديم العقل على النقل ونصوص الشرع وخاصة في أمور العقيدة والغيب" انظر: ناصر عبد الكريم: العقل والاتجاهات العقلانية الحديثة، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 2015،ص ص 15-16.

[2]– جلال الدين سعيد: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، د/ط، د/س، ص 191.

عندما تتطلب الشروط الموضوعية ذلك، وعدم القدرة على إعادة ترتيب أو تركيب حقل ما تتواجد فيه عدة حلول لمشكلة واحدة وذلك بهدف حل هذه المشكلة بفعالية أكبر"[1] من خلال هذا الطرح يتبين أن الدوغمائية تعني الجمود والانغلاق الذي يجعل الشخص ينغلق على نفسه مستبعدا الإنفتاح على كل ما هو مستحدث.

ويضرب لنا أركون مثالا عن الدوغمائية في الأوساط الإسلامية فيقول: " **في الواقع أن جميع الأديان تقدم نفسها على أساس أنها أنظمة من الاعتقاد واللإعتقاد: أي أنظمة تشمل على مجموعة من المعتقدات الأساسية التسليمية فتنفي ما عداها. والأنظمة الدينية تشتغل أو تمارس فعلها على هيئة الحقائق التي يمكن تجاوزها، كما تقدم نفسها على هيئة نواميس معيارية للسلوك ورؤية محددة للواقع، وأجوبة علمية لحل المشاكل التي تعرض في الحياة وكل هذه المعتقدات تفرض نفسها على جميع البشر بشكل إجباري لأنها مصاغة ومقدمة من قبل الألوهية والآلهة**" [2]إذ أن هذه التعاليم والأنظمة الدينية التي تسيطر على الإنسان وتقيده بأوامر ونواهي يخضع لها دون مناقشة تجعل منه ذات مقيدة وغير حرة.

وفي نفس السياق "**ففي مرحلة ما قبل الأنسنة،وهي مرحلة ما قبل عصر النهضة والإصلاح الديني بالنسبة للفكر الغربي،ومرحلة ما قبل القرن الخامس الهجري بالنسبة للفكر الإسلامي كانت النصوص المقدسة هي التي تصنع ماهية الإنسان وتحدد له ما يفعله وما لا يفعله بمعنى أن الإنسان ينصت للنص ويسلم له إرادته،ويتبع أوامره ونواهيه ولا يسائله ولا يستطيع أن يرسم مسافة بين النص وبين وعيه بما يقوله النص**". [3]

[1]- محمد أركون: الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص 05.

[2]- محمد أركون: نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، تر: هاشم صالح، دار الساقي،ط1، 1997، ص 17.

[3]- كيحل مصطفى: مرجع سابق،ص 52.

أي أن الرؤية اللاهوتية المقدسة هي التي تحدد وعي الإنسان وإرادته وسلوكه في الوجود. ومن ثم فإن غياب مشكلة الإنسان ترجع إلى تضيق رؤيته للأشياء وتحديد آفاق تأويلاته.

المبحث الثالث:من نقد العقل الإسلامي إلى تحرير التراث الإسلامي

في ظل الانغلاق والأصولية والعصبيات التقليدية التي يشهدها الواقع الإسلامي المعاصر يأتي مشروع نقد العقل الإسلامي يفرض نفسه بقوة أكثر من أي وقت مضى عند محمد أركون، فأركون كان تواقا إلى تحرير العقل الإسلامي، وذلك برد الاعتبار للموقف الأنسني لتدارك هذه الأوضاع والنهوض بالمجتمعات الإسلامية.

مفهوم نقد العقل الإسلامي:

يقول أركون أن نقد العقل الإسلامي" **هو جملة من الآليات المعرفية التي ترسخت وأصبحت سمة على المواقف المبدئية للرؤية الإسلامية"**[1] يقصد أركون من هذا الطرح نقد الأفكار والمسبقات التقليدية التي أسرت الوعي الإسلامي على مر العصور. ويضيف أركون أن " **نقد العقل الإسلامي لا يعني إطلاقا القيام بعمل سلبي أو تدميري كما قد يفهمه بعضهم ولا يعني أبدا المس بالتجربة الكبرى للإسلام الحنيف، هذه التجربة التي تجلت بعد القرآن الكريم في مؤلفات وشخصيات إسلامية تنتمي إلى كافة الاتجاهات والمذاهب من السنة وشيعة وإباضية ومعتزلة وصوفية ومعتزلة وفلاسفة ... إلخ وإنما هو يعني نقد التجسيد التاريخي والتطبيقي للمبادئ المثالية الروحية"**[2] وبهذا فنقد العقل الإسلامي عند أركون " **لا يعني التخلي عن العقل وإنما يعني تصحيح مساره وتوسيعه وجعله أكثر إنسانية وأقل أنانية"**[3] أي نقد الفهم

[1]– أحمد دلباني: سفر الخروج، اختراق السبات الإديولوجي في الثقافة العربية أدونيس، إدوارد سعيد، علي حرب، محمد أركون، دار التكوين، دمشق، داط، 2009، ص 56.

[2]– محمد أركون: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، مصدر سابق، ص 07.

[3]– محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟، مصدر سابق، ص 321.

المزيف الذي يتبناه العقل الإسلامي عبر صيرورته التاريخية للأبعاد الروحية للإسلام بعد ما غلف بطابع الدوغمائية، لذلك يسعى أركون إلى تحرير هذا العقل من إغفاله مكانة البعد الروحي بوصفه حصانة للروح البشرية بعيدا عن النزعة الأنانية.

يتراءى لأركون أن مشروعه " **نقد العقل الإسلامي**" والقيام بتفكيكه وزحزحة مشروعيته أصبحت حاجة ملحة لا غنى عنها، وفي هذا الصدد يدعو في عبارة صريحة " **كل المشاكل والأضابير المغلقة ينبغي أن تفتح ويحفر حوليها، وكل المعارف الخاطئة المجترة بشكل تواكلي عبر مر العصور ينبغي أن تعرى وتدان وكل الأساطير التي يتعلق بها الإنسان وكانت متعالية ومقدسة ينبغي أن يكشف عنها النقاب**"[1] يقترح أركون القيام بحفر أركيولوجي لمختلف الأنظمة المعرفية المغلقة والروح الإجترارية التي تراكمت وتجذرت في العقول على مر الأزمنة، والنابعة من مسلمات الوعي الأسطوري، إذ لا يتردد أركون في خلع الأقنعة التي تغلفها وإخضاعها للنقد وإخراجها من فضاء التقديس والتعالي.

ويصرح أركون في عبارة أخرى أنه" **آن الأوان للخروج من هذه الحلقة الجهنمية للعنف والعنف المضاد لقد آن الأوان للخروج من عهد الأكاذيب السياسية لتبرير خوض الحروب. آن الأوان للتخلي عن السياسة القائمة على القوة المحضة، آن الأوان للخروج من تلك الحلقة المبتذلة للتفجيرات الإرهابية من جهة والرد الهائل المفرط عليها من جهة أخرى**"[2]من هذا المنطلق يدعو أركون إلى احتراف كل أشكال الانغلاق والعصابات والقوميات الضيقة، وإرادات الهيمنة التي تفرضها القوى العظمى والخروج من دوامة العنف والحروب التي تمت باسم الدين التي تبنتها الجماعات الإرهابية بهدف النزوع إلى السلم.

[1]– محمد أركون: الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى وإدارات الهيمنة، مصدر سابق، ص119.

[2]– محمد أركون: نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1، 2011، ص338.

إن مشروع " نقد العقل الإسلامي" عند أركون كان يهدف من وراءه دخول المجتمعات الإسلامية ركب الحداثة. إذ يقول **"هذا هو هدف نقد العقل الإسلامي إنه يعني تجديد الفكر العربي الإسلامي لكي يصبح أكثر قدرة على مواجهة مشاكل مجتمعاتنا الحالية وما أكثرها"**[1] أي أن نقد العقل الإسلامي سبيل لحل المشاكل المجتمعية الراهنة وذلك بفتح آفاق هذا العقل على أبعاد إنسانية، وفي السياق ذاته " **فإن المدخل إلى نقد العقل الإسلامي وتحريره من القيود والدوغمائية التي تكبله لن يتم، في نظر أركون من خلال الاعتماد على نماذج برانية مفروضة، بل من داخل العقل الإسلامي ذاته، أي باستحضار النماذج المستنيرة"**[2] هذه النماذج التي أفرزها العقل الإسلامي في حقبة زمنية معينة أبرزت " **دور التمرد العقلي ضد الممارسات الاعتباطية للعقل، والإعراض عن قوانين البحث العلمي المعتمد على المناظرة المتقيدة بشروط علمية وأخلاقية واجتماعية مضبوطة"**[3] أي التمرد عن كل إكراه أو قسر يمارس على العقل ومبادئه العلمية الدقيقة. ويضيف أركون قائلا أنه " **بإنجاز مهمة نقد العقل الإسلامي تصبح الطريق سالكة لتأسيس مشروع حداثة بمضمون انسني روحي**" [4]وهذا لن يتأتى في نظره إلا باستلهام البعد الأنسني في السياقين العربي الإسلامي لاسيما التوحيدي ومعاصريه، والسياق الغربي لتجسيده على الواقع الإسلامي المعاصر.

وفي مجال نقده للعقل الإسلامي فهو يقترح بديلا عن العقل الدوغمائي الذي سيطر على الفكر الإسلامي لقرون طويلة سماه " **بالعقل الاستطلاعي المنبثق والمستقبلي**".

[1]– محمد أركون: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، مصدر سابق،ص09.

[2]– عبد الإله بلقزيز: قراءات في مشروع محمد أركون الفكري، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2011، ص 15.

[3]– محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟ مصدر سابق، ص 10.

[4]–عبد الإله بلقزيز: مرجع سابق،ص145.

2)- العقل الاستطلاعي:

لقد حاول أركون بمواقفه الجديدة تبني هذا العقل التي تكمن مهمته في إحداث قطيعة معرفية مع مختلف السياجات العقدية المغلقة سواءا الدينية أو الدنيوية، إذ يقصد به أركون " **العقل الجديد الذي يطمح إلى التعرف على ما منع التفكير فيه وأبعد عن دائرة الاستطلاع والاستكشاف لكي تبقى مشروعية أنواع السلطة وقداسة أنواع الحاكمية مؤثرة في المخيال الديني والسياسي تأثيرا مثيولوجيا ... مهما كانت الظروف التاريخية والأطراف الثقافية والبيئات الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية**".[1]

إن هذا العقل الجديد الذي وظفه أركون يسعى إلى تفكيك وزحزحة التواطئات الخفية من قبل السلطة لما هو ديني، أو تاريخي ... لخدمة مصالحها والحفاظ على مكانتها لتفلت من كل ما يعارض تعاليمها المزيفة ومن يتجرأ المساس بها وإعادة النظر فيها بشكل نقدي حتى يعتقد الناس أنها مقدسة، لذلك يهدف هذا العقل حسب أركون إلى إزاحة هذه القداسة عنها حتى يتسنى للإنسان أن يتحرر من هذه المرجعيات المنغلقة، والقيام بدوره في التأسيس لمستقبل حافل بإنجازات وآليات نهضوية، وذلك بمحض إرادته وليس ما تعرضه عليه السلطة من رقابة ذاتية تطبق عليه كل أنواع الإكراهات الإديولوجية.

ويضيف أركون " **أن مهمة العقل المنبثق تتجلى في أنه عقل يشك ويستخدم التفكيك ويجعل العقول دوما في موضع المساءلة النقدية بغية " تقديم صورة مختلفة عن حقيقة الماضي والتراث، ترتكز على الخيال المحض، بدلا من أن تقدم الصورة التاريخية التي تعبر عن الواقع المحسوس**"[2] بمعنى أن هذا العقل يطرح مواقفه المعرفية التراثية للمناظرة والتنقيب ومن ثم تكريس مبدأ العقلانية المنفتحة المضادة للعقل الدوغمائي المتحجر.

[1]- محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟ مصدر سابق، ص 08.

[2]- نايلة أبي نادر: مرجع سابق، ص 94.

إن الهدف الذي يصبو إليه أركون من وضع "العقل الاستطلاعي المستقبلي" هو تدشين القيم الجديدة التي تشكل علامة على تقدم وتحرير الوعي الإسلامي وتطلعه نحو أفق الحداثة بكل أبعاده.

خلاصة:

يتبين من خلال قراءة أركون للفكر الإسلامي وصوله إلى قناعة مفادها، أن من أسباب الصعود المتكرر لإسلام دوغمائي منغلق ومتعصب ، والذي يمثل مشكلة بالنسبة لتطور العالم الإسلامي في الوقت الراهن، هو تلك الهوة التي تفصل المسلمين اليوم عن تراثهم الإبداعي في العصور الكلاسيكية، وتقليدهم لعصور الانحطاط. إذ يؤكد أن المجتمعات الإسلامية لا يمكنها تحقيق نهضتها، إلا إذا تحررت من المرجعية الدينية المنغلقة ودراسة الإسلام ضمن سياق الحداثة، كتفعيل البعد الأنسني.

الفصل الثاني

المرجعيات الفلسفية للنزعة الإنسانية عند أركون

المبحث الأول : مفهوم النزعة الإنسانية عند أركون

المبحث الثاني : المرجعية التراثية الإسلامية للنزعة الإنسانية

المبحث الثالث : المرجعية الغربية للنزعة الإنسانية

تمهيد

لقد أسس محمد أركون مشروعه الفكري الموسوم بالأنسنة من خلال البرهنة على أن الثقافة العربية الإسلامية كانت سباقة لطرح إشكالية النزعة الإنسانية على الغرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلادي، حيث شهد العالم العربي بالتحديد القرن الرابع هجري، العاشر ميلادي تيارا إنسيا متميزا تجلى فيما أنجزه أباء الحداثة العربية أمثال التوحيدي، مسكويه، ابن سينا وغيرهم، فالرهان عند أركون هو إعادة إحياء تلك النزعة الإنسانية في العصر الكلاسيكي وتوضيح مضامينها وخصوصياتها مقارنة بالنزعة الإنسانية الغربية، بعدما تجاوز القراءة الكلاسيكية والمفاهيم الإسلامية التقليدية، التي تقدس النظرة اللاهوتية وتأسر حرية الإنسان، فأركون يدعو إلى ضرورة تحويل بؤرة الاهتمام من المركزية اللاهوتية إلى الاهتمام بمركزية الإنسان بما هو إنسان، فكيف يتصور محمد أركون إشكالية الأنسنة في السياقات الإسلامية؟

المبحث الأول: مفهوم النزعة الإنسانية عند محمد أركون:

إن واقع المسلمين المرير وهمومهم الاجتماعية والتاريخية والفكرية والسياسية التي ما فتئت تتعقد يوما بعد يوم هي أحد الأسباب التي دفعت أركون إلى الخوض في غمار مشروع ينشد الحداثة والتجديد كالاهتمام بطرح سؤال الإنسان واستعادة حقوقه المغتصبة التي باتت مغيبة في الأوساط العربية الإسلامية المعاصرة إلى حد بعيد، نتيجة الخوض في العصبيات التقليدية ومختلف أشكال الأصولية. من هذا المنطلق يتبين أن أركون يعتبر الإنسان شرطا ضروريا للتنوير وهذا ما يعبر عنه هاشم صالح بقوله " **لا تنوير من دون نزعة إنسانية، بل لا يتحقق أي فكر ساعة عناء واحدة إن لم يكن هاجسه الأول الإنسان وسعادته ومصيره على هذه الأرض**"[1].

وعليه نجد أن مصطلح الأنسنة أو النزعة الإنسانية في الثقافة العربية الإسلامية يرتبط بالدرجة الأولى بمحمد أركون حيث اشتغل على موضوع الأنسنة في أطروحة قدمها لنيل شهادة الدكتوراه بعنوان:"L'humanisme arabe IYX éme Siécle"وترجمها هاشم صالح إلى اللغة العربية " نزعة الأنسنة في الفكر العربي مسكويه والتوحيدي، إذ يؤكد أركون أنه أشاد بمصطلح الأنسنة كمقابل لمصطلح « Humanisme » رغبة منه في تنشيط وتشجيع الأمة العربية الإسلامية في بلورة نقاش مفتوح حول مفهوم نجد جذوره حاضرة في الحقبة الإسلامية الكلاسيكية.

ويضيف أركون قائلا: " **وأنا عندما اعتمدت مصطلحا غربيا وجديدا "الأنسنة" فإني أردت لفت الانتباه إلى ضرورة إعادة التفكير في النزعة الإنسانية الدينية المشتقة من الأنتروبولوجيا القرآنية، كما وأردت في الوقت ذاته إعادة التفكير بالنزعة الإنسانية الفلسفية أو المستلهمة من قبل الفلسفة**"[2]

[1]- محمد أركون: نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، مصدر سابق، ص 08.

[2]- محمد أركون: معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، دار الساقي، بيروت، ط1، 2001، ص07.

من خلال هذه التبريرات التي أدلى بها أركون في تأسيسه لمفهوم الأنسنة يكمن هدفه في تحريك العقل الإسلامي المعاصر إلى استلهام واستثمار تراثه القائم على النزعة الإنسانية التي يغذيها البعد الديني المنفتح، وكذا البعد الفلسفي العقلاني وتوظيفه بما يواكب عصره الراهن.

حسب أركون إن " **كلمة « Humanistas » اللاتينية تماثل من حيث المعنى أو تطابق كلمة أدب (بالمعنى الكلاسكي للكلمة وليس بالمعنى الضيق المحدث) فهذه الكلمة تعني وجود ثقافة كاملة ومتكاملة لا يعتريها النقص، أي تلم بكل شيء. إنها ثقافة تحتوي كل المعارف والعلوم، وتتجسد في شخصيات تتميز بالأناقة المرهفة والزى الحسن، اللياقة المهذبة والفهم العالي للعلاقات الاجتماعية، باختصار فإنها تتميز بمراسم صارمة دقيقة في العادات والسلوك وهي مراسم تهدف إلى توفير الخير لكل الجماعة عن طريق تنمية الإمكانيات الجسدية والمعنوية والثقافية للفرد ومساعدته على التفتح والازدهار**"[1] إن جعل أركون مصطلح الأنسنة مرادفا لمفهوم الأدب يوحي بوجود طبقة مثقفة اندست في مجال الأدب، يكشف عنها من خلال دراسته لأدبيات القرن الرابع هجري والتي اهتمت بقضايا الإنسان وهمومه ومحاولة الإحاطة به من جوانبه المختلفة وهذا ماساهم بشكل مكثف في ازدهار تلك الأنسنة.

وفي موضوع آخر فإن الأنسنة حسب أركون " **تعني التطبيق المستمر للعمليات المعرفية الثلاث التي يعبر عنها بصيغة التعدي والنقل والتجاوز على كل النظم الفكرية والإيمانية عن كل الأديان والثقافات**"[2] فالأنسنة هنا من منظور أركون تشترط تأويلا يتضمن أبعادا تفكيكية وتجاوزية لكل الأنظمة الفكرية التقليدية والإطارات الدينية المنغلقة التي تضمر كينونة الإنسان.

إن الأنسنة عند أركون " **تتجاوز حدود الأديان والطوائف والقوميات والأعراف لكي تصل إلى نزعة الإنسان واسعة في كل مكان وإلا فلن تكون هناك نزعة إنسانية حقيقية فهي إذا ما استثنت إنسانا واحدا من نعيمها، تكون قد فقدت إنسانيتها، إننا نسعى إلى تحقيق الفلسفة الإنسانية الكونية والمحسوسة ونعتبر ذلك مهمة ملقاة على عاتق إنسان القرن الواحد والعشرين**"[3] فالمشروع الأركوني

[1]– محمد أركون: نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، مصدر سابق، ص 608.
[2]– محمد أركون: الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي، مصدر سابق، ص 47.
[3]– محمد أركون: نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، مصدر سابق، ص 29.

الأنسني يهدف إلى الوصول إلى نزعة إنسية شاملة لا تعتريها الحدود العرقية أو الدينية أو المذهبية، فهمه الوحيد هو الإنسان من أجل الإنسان بغض النظر عن جنسه أو انتمائه.

ويؤكد أركون على الفرق بين الأنسنة والنزعة الإنسانية قائلا " **الأولى تركز النظر في الاجتهادات الفكرية لتعقل الوضع البشري، وفتح آفاق جديدة لمعنى المساعي البشرية لإنتاج التاريخ مع الوعي أن التاريخ صراع مستمر بين قوى الشر والعنف، وقوى السلم والخير والجمال والمعرفة المنقذة من الظلال**"[1] فالأنسنة بهذا المعنى مرهونة بتفتح الوعي البشري على قيم التسامح والإخاء ... والابتعاد عن التعصب والطائفية.

أشكال الأنسنة:

في إطار اهتمام أركون بطرح قضية الأنسنة من جديد في الحضارة الإسلامية المعاصرة، نجده يستعرض ثلاثة أصناف أساسية للموقف الإنساني، ساهمت في ذيوع التفلسف والعلمنة وإرساء البعد الديني في تلك الفترة التاريخية من القرن الرابع الهجري للإسلام، تتمثل في (الأنسنة الدينية، الأنسنة الأدبية ،الأنسنة الفلسفية).

أ)– الأنسنة الدينية:

يحاول أركون أن يبرهن في هذا الموضوع أن الذات الإلهية هي الدعامة الأولى التي تتأسس عليها ماهية الإنسان والمرجعية المطلقة التي يحتكم إليها والدليل على ذلك أن الله خصه بخصوصية الارتقاء إلى مقام الخلافة التي تتطلب منه معرفة واجباته في تسيير شؤون الكون عن طريق الانصياع إلى الأوامر الإلهية وعليه تتشكل صورة خيرة بين الله والإنسان أو بين الإنسان والله.

فمصير الإنسان في الأنسنة الدينية حسب أركون مرتبط بالتعاليم الإلهية المنزلة لأن الله هو الذي يحدد له توجهاته المعرفية الأخلاقية "**لذلك نجد الموقف الديني لا يسمح إلا بصيغة معينة من صيغ الأنسنة، صيغة محصورة داخل جدران النظام العقائدي الخاص بكل دين، ويقدمون مؤلف هذا النظام على أساس أنه الإله المتعالي المليء بالنيات الطيبة والحسنة اتجاه الإنسان**"[2] من هذا المنطلق تتجسد الرؤية التعاقدية

[1]– محمد أركون: معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، مصدر سابق، ص 19.

[2]– محمد أركون: نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، مصدر سابق، ص 18.

بين الله والإنسان، نستحضر في هذا السياق الخطاب القرآني وتمحوره حول الذات الإنسانية بكافة أبعادها وجوانبها. ويضيف أركون أن هذه الأنسنة "**ذات تلوينات أو تنويعات مختلفة تمتد من الورع الهادي والمرتاح العادي، إلى التقشف الصارم والشديد للناسك المتعبد، ولكن الأنسية الدينية تتميز في جميع الحالات بالخضوع المطمئن لله وبالتعلق المستمر به، كما تتميز بالخشية في العمل والتصور وبالرغبة في الإمحاء والتلاشي بانتظار مجيء عهد العدالة الإلهية التي لا ترد**"[1] إن هذه الإنسنة ترتكز على وضع الإنسان وقيمته ضمن التعلق الشديد بالذات الإلهية، إذ يصبح الإنسان في غنى عن الدنيا وملذاتها، منفتحا على عالم الآخرة من خلال مجاهدة النفس والطهارة الروحية ... وهذا بالتحديد ما تعبر عنه التجربة الصوفية في نظر أركون.

ب)– الأنسنة الأدبية:

يرى أركون أن هذه الحركة الإنسية الأدبية " **مرتبطة بأرستقراطية الروح، والمال والسلطة (أي بالأوساط الراقية في المجتمع الإسلامي الكلاسيكي) ففي زمن المحسنين من رعاة الآداب والعلماء ما كان يمكن لأصحاب المواهب والمبدعين أن تتفتح مواهبهم إلا في بلاطات الأمراء وصالونات الأغنياء الكبار وهكذا تشكلت الحركة الأنسية الأدبية في سياق الإسلام الكلاسيكي**"[2] تعتبر هذه الأنسنة حسب أركون أكثر ديناميكية في فترات التاريخ الإسلامي الذهبي إلا أنه رفضها فيما بعد لأنها أضحت شكلانية منفصلة عن الواقع الحقيقي للإنسان" **فقد كان الأثرياء وأبناء الطبقة العليا يتغنون بما كتبه الإنسان وبما تجلى به عقله عن حريته وكرامته، ولا يعنيهم الإنسان الجائع في الشارع المجاور لصالونهم الثقافي**"[3] إن أركون ينقد هذه الأنسنة التجريدية المفرغة من مضامينها الفعلية، ويصرفها نحو واقع أكثر إنسانية.

[1]– محمد أركون : نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، مصدر سابق ،ص607

[2]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– مصطفى الحسن: الدين والنص والحقيقة، قراءة تحليلية في فكر محمد أركون، الشركة العربية للأوطان والنشر، بيروت، ط1، 2012، ص99.

ج)– الأنسنة الفلسفية:

ترتبط هذه الأنسنة حسب أركون بالأنسنتين السابقتين، لكنها تختلف عنهما من حيث قيامها على منهجية صارمة ودقيقة، يقول أركون" **هي مزج بين الأنسنتين السابقتين الدينية والأدبية، بمعنى أنها تستوعب عناصر مختلفة من هذه وتلك وتصهرهما في بعضهما البعض لكي تشكل ما ندعوه بالأنسنة الفلسفية، ولكنها تتميز عن كلتا الأنسنتين السابقتين من حيث التزامها بنظام فكري أكثر دقة وصرامة كما تتميز بالبحث القلق والمتوتر والمنهجي عن الحقيقة فيما يخص العالم والإنسان والله**"[1] إن هذه الأنسنة ذات المحتوى الفلسفي تستند على معيار منهجي له مجال واسع في البحث عن الحقيقة المبتغاة قوامه النقد والعقل المنفتح، ويواصل أركون حديثه عن الأنسنة الفلسفية قائلا:" **هذا النوع من الأنسنة يركز على الإنسان من حيث هو عقل مستقل مسؤول في حالة تفاعل مع عقول انسانية أخرى، ولكنها ليست التي تتخطى الدين، فهي لا تقدم نفسها على أنها فلسفة محايثة تعارض فلسفة التعالي والمفارقة، وإنما تقارب المسألة الدينية بمنهجية مقارنة الأديان وتتجاوز التضاد بين المعرفة الدينية المرتكزة على الإيمان غير النقدي وبين المعرفة العلمية المنتجة عن طريق العقل المستقل**"[2] بما أن الإنسان كائن عاقل مستقل فيما يقوله ويتبناه من أفكار وأفعال تتحدد مسؤولياته اتجاه ذاته، ولذاته أولا بلغة **كانط** أو بتعبير آخر عقل يفكر في مشاغله الخاصة من جهة ومن جهة أخرى عقل مشارك ومسؤول عن القضايا العامة التي تخص حياة الناس، إلا أن أولوية العقل هنا من منطلق الأنسنة الفلسفية لا تفهم على أنها تتعارض مع الدين وإنما هي تحاول تجاوز الطريقة التقليدية في التعامل مع المعرفة الدينية المنحرفة والغير النقدية في سبيل عقلنتها وقد ظهر هذا العقل المستقل في الفلسفة المسيحية الوسيطية بالتحديد فكرة أوغسطين القائمة على ثنائية العقل والإيمان.

[1]– محمد أركون : نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، مصدر سابق، ص608

[2]– مصطفى كيحل: مرجع سابق: ص ص 75، 76.

المبحث الثاني: المرجعية التراثية الإسلامية للنزعة الإنسانية:

1)- عوامل ظهورالنزعة الإنسانية: (ق4هـ)

يرى أركون أن الحركة الإنسانية وازدهارها لم يأتي من العدم وإنما هناك إرهاصات مهدت لظهورها في تلك الفترة من عمر الحضارة الإسلامية، يستعرضها في النقاط التالية :

أ)- العامل السياسي:

يؤكد أركون أن النزعة الإنسانية بلغت أوجها في العصر البويهي، ويبرهن ذلك قائلا:"**إن اللوحات الحية اللاذعة التي صور بواسطتها بيئات العلماء والمثقفين ورجال الدين والسياسيين التي سادت منطقة إيران والعراق تحت حكم البويهين تكفي لوحدها في الشهادة على ظهور نزعة إنسية عربية**"[1] يصرح أركون هنا أن انبثاق الموقف الأنسني كان نتيجة تأسيس الدولة البويهية.

وفي نفس السياق يضيف أركون قوله " **نلمح من خلال دراسة نلك الفترة ظهور علائم من العلمنة الجنينية أو البدائية، من أبرز هذه العلائم إضعاف هيبة الخلافة من قبل الأمراء البويهين ثم ازدياد أهمية الدور الذي يلعبه العقل الفلسفي من أجل تجاوز الصراعات المتكررة والحاصلة بين الطوائف والمذاهب والعقائد والتراثات العرقية الثقافية، ومن المعلوم أن الخلافة تتمتع برمزانية دينية عالية واستخفاف البويهين بها يعني السير في طريق العلمنة لمؤسسة السلطة العليا.**"[2]إن هذه الفئة حسب أركون كان لها قدرة فذة في تسيير الشؤون السياسية أنداك نظرا لاتساع دائرتها في الحكم لتشمل نخب من طوائف غير عربية تؤطرها نفس المرجعية الفلسفية المثالية القائمة على الحكمة والنزاهة، مما جعلها تتجاوز النظرة

[1]- محمد أركون الفكر الإسلامي قراءة علمية، مصدر سابق، ص77.

[2]- محمد أركون: نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، مصدر سابق، ص 47.

الدينية المذهبية الأرثودكسية التي عرفتها الخلافة العباسية، والإعلاء من قيمة العقل الفلسفي كسبيل لإزالة الفوارق الطبقية في المجتمع، وكذا توحيد ثقافة الاختلاف والاعتراف بالتعددية المذهبية وهذا ما أدى إلى انبثاق مبدأ العلمانية في الحياة السياسية.

ب)– العامل الاقتصادي:

لقد وصف أركون الحركة الاقتصادية التجارية التي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية في القرن الرابع هجري ويتجلى ذلك في قوله "**فالطبقة التاجرة شهدت في القرن الرابع الهجري ازدهارا استثنائيا، إذ كان التجار المسلمون يسيطرون على الخطوط التجارية البحرية في الحوض البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي، كما كانوا يسيطرون على الخطوط البرية في الصحاري عن طريق القوافل، وأدى ذلك كله إلى تراكم الثروات، تشهد على ذلك الأدبيات الجغرافية العربية التي سجل فيها الرحالة الإنسانيون معلومات دقيقة متنوعة واسعة عن شعوب أخرى وثقافات وحضارات بعيدة جدا عن الإسلام العربي الذي يظل بالطبع المركز السياسي والنموذج الإجباري لكل مرجعية حضارية.**"[1] لقد أعطى أركون أهمية للبنى المادية والأطر الاقتصادية بما فيها البرجوازية التجارية في تشكيل واقع المجتمعات الإسلامية، فالنزعة الإنسانية تقتضي دعامة مادية تستند عليها، لذلك الإنسان الذي تتاح له حياة الرفاهية يطلق العنان لعقله في أن يفكر ويبدع ويتطلع إلى المستقبل بنظرة متفائلة والعكس صحيح.

ج)– العامل الاجتماعي:

يؤكد أركون في هذا الجانب مكانة العمران في نهضة المجتمعات الإنسانية إذ يقول "**وفي المجال الاجتماعي نجد أن طبقة الكتاب أي كتاب الإدارة والمثقفين والأدباء المكونين داخل أنظمة الأدب**

[1]– محمد أركون: نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، مصدر سابق، ص14.

والمدعومين من رعاة لهم أقوياء أو أغنياء، قد قامت بتعزيز الأثر الحاسم لأنسنة علمانية في الأوساط العمرانية وينبغي أن نسجل جيدا أن كل اتجاهات الفكر وكل الأطر الاجتماعية، كل المدونات الحضارية محل الاهتمام هنا مرتبطة بالحضارة العمرانية المدنية"[1] أي أن طبيعة العمران ساهمت في تشكيل فئة اجتماعية راقية من النخبة، مدعومة من طرف الطبقة النبيلة والغنية كان لها الدور الفعال في بلورة فعل إنساني يتجاوز الرؤية المنحطة للواقع وغموض المستقبل، أما الطبقات الشعبية من أهل الأرياف البعيدة عن المراكز العمرانية فبعيدة كل البعد عن معالم الثقافة وهذا يعكس الدرجات المتفاوتة بين الذهنية العالمة والذهنية البدائية.

د)– العامل الثقافي:

لقد كان للفلسفة والعلوم اليونانية على اختلافها الفضل في تدعيم الأنسنة المعلمنة في العصر الكلاسيكي، إذ يقول في هذا الصدد أن قيام الحضارة الإسلامية راجع إلى" **انفتاحها على العلوم المدعوة بالأجنبية أو الدخيلة بحسب اللغة الكلاسيكية للفقهاء المضادين لهذه العلوم وكانوا دائما موجودون بقوة إلى جانب الخط الأنسني المنفتح على العلوم الأجنبية، هذا الانفتاح لم يحجم من قبل أسبقية دوغمائية أو لاهوتية"**[2] يتبين أن التأثير الفلسفي كان واضحا في السياق العربي الإسلامي الكلاسيكي حيث أن الفلسفة الإغريقية جاءت استجابة لروح العصر في القرن الرابع هجري، وحاجيات مجتمعه في الأوساط الحضارية كالعراق وإيران، ويضيف أركون قوله " **كانت الفلسفة من حيث بنيتها ومقاصدها ملائمة لتلك البيئة حقا وتتجاوب مع تطلعها، ولهذا السبب انتشرت وانتصرت لفترة من الزمن"**[3].

[1]– محمد أركون: الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي، مصدر سابق، ص37.

[2]– محمد أركون: نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، مصدر سابق، ص618.

[3]– محمد اركون :نزعة الانسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي ،مصدر سابق،ص345.

إن يقظة الوعي في تلك الفترة ساهمت في تبني المرجعيات الثقافية المختلفة عنها" **الجاحظ كان عربيا مسلما، منفتحا على رياح الثقافات والأفكار الآتية من بعيد، والتوحيدي أيضا كان عربيا، إسلاميا يونانيا، إيرانيا، ...الخ كان كل شيء.، كل عصره اجتمع فيه** "[1] هذا ما يؤكد أن الاجتهادات الفكرية والثقافية كالانفتاح على النص الفلسفي والأدبي آنذاك أدى إلى تجاوز الانقسامات السياسية والدينية.

2)- نماذج الأنسنة في العصر الذهبي الإسلامي:

ثمة مشروعية لالتفات أركون إلى الوراء ذلك أن المجتمع الإسلامي المعاصر لم تتسنى له الفرصة الحقيقية لممارسة تنويره الذي هو بأمس الحاجة إليه، إذ سعى أركون إلى إعادة بعث التراث الإسلامي بترسيخ مبحث الإنسان على شاكلة رواده وإحياء أعمالهم الفكرية والنقدية التنويرية وتسليط أضوائها على العقل الإسلامي المعاصر ومن بين النماذج التي احتذى بها أركون نذكر :

أ)- التوحيدي:

يعتبر أبو حيان التوحيدي* رمزا للإنسية العربية في العصر الكلاسيكي، تأثر به أركون في العديد من مؤلفاته التي تناقش قضية الإنسان وتتجاوب مع هموم العصر، أهمها "**الإشارات الإلهية**"، "**الإمتاع والمؤانسة**"، "**المقابسات**".

[1]- محمد أركون: الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، مصدر سابق، ص26.

***التوحيدي**: هو أبو حيان محمد بن العباس التوحيدي، المعروف بأبي حيان التوحيدي. ولد في شيراز أونسابور، كان بارعا في جميع العلوم من النحو، اللغة، الشعر، الفقه وعلم الكلام على رأي المعتزلة، نعته ياقوت الحمودي بشيخ الصوفية، وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة أنظر: أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، د/ط، 2011، ص ص 06،07.

وفي هذا الصدد نجد أركون يعتبره "**إحدى الشخصيات الفكرية النادرة في التاريخ الإسلامي التي انتفضت وثارت باسم الإنسان ومن أجل الإنسان**"[1] فالتوحيدي حسب أركون كان يسعى إلى الدفاع عن الإنسان واحترام ماهيته وكينونته.

ويضيف أركون الإشادة بفكر التوحيدي قائلا أنه طبق شعار " **العلم بالعمل والعمل بالعلم**"[2] إذ حاول التوحيدي تفعيل الأنسنة بإقران التفكير النظري بالممارسة العملية حتى يحقق الإنسان مكانته المرموقة بين سائر الموجودات إلى جانب ذلك يعلن التوحيدي مقولته الشهيرة" **الإنسان أشكل على الإنسان، بمعنى أن الإنسان أصبح مشكلة بالنسبة لنا، كيف نفهمه ونحلل تصرفاته وندرك بواعثه**" [3]ويضيف أركون في طابع استشكالي آخر "**وكيف يمكن أن نصالح الإنسان مع نفسه بطريقة علمية ملموسة، أقصد بطريقة تتجسد في نظام أخلاقي معاش على أرض الواقع. كما وتتجسد في نطام اقتصادي أيضا فيه شيء من العدالة والمساواة في الفرص والحظوظ، هذه هي الأنسنة والنزعة الإنسانية الحقيقية والفلسفة القائمة على الإنسان واحترام الإنسان واعتباره أغلى شيء في الوجود**"[4]وعلى هذا الأساس فإن التوحيدي سعى إلى فهم البواعث العميقة للشخصية الإنسانية وتبني حقوقها الأساسية سواء الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية وردها إلى قيمة يتساوى فيها الناس جميعا وذلك لتأكيد إنسانية الإنسان في هذا الوجود.

وفي السياق ذاته فإن مقولة التوحيدي هذه التي دشنت معالم الأنسنة في الثقافة العربية الإسلامية حسب

---

[1]-محمد أركون: نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، مصدر سابق، ص19.

[2]- محمد أكون :الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، مصدر سابق، ص 259.

[3]-محمد أركون: نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية،مصدر سابق، ص25.

[4]-محمد أركون :الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، مصدر سابق، ص 259.

أركون " **جعلت كل ما لديه متمركزا حول الإنسان كتاباته، تمرده الفكري ونقده القاطع وذلك دون أن يتخلى عن بعده الروحي**"[1]معنى ذلك أن التوحيدي كان متمردا على التفكير الجامد والانغلاقات الدينية التي تقيد الإنسان، دون التخلي عن عقيدته الدينية المنفتحة وهذا ما يعكس اهتمامات التوحيدي بالجانب الإنساني. وعليه يبدو أن استلهام أركون أنسنة التوحيدي تكمن في سببين بارزين وجد فيهما شيئا من صفاته الشخصية هما:

1. نزعة التمرد الفكري أي رفض كل قسر أو إكراه يمارس على العقل أو الفكر.
2. رفض كل فصل أو انفصام بين الفكر والسلوك أو بين العمل الفكري والمسار الأخلاقي[2]

أي أن التوحيدي تمرد على الوضع السائد في عصره كما هو الحال لمحمد أركون فكلاهما يهدف إلى ترسيخ النزعة العقلانية العملية باعتبارها جوهر للأنسنة ومرجعية معرفية تحرر الإنسان من المرجعيات والإنغلاقات الدينية والفكرية وذلك للنهوض بمجتمعاتهم الإسلامية.

ب)– مسكويه:

لقد بذل محمد أركون جهده في إعادة قراءة أحد أهم عمالقة النزعة الإنسانية في العصر الذهبي الإسلامي ألا وهو مسكويه وذلك بالرجوع إلى أهم كتبه " **كتهذيب الأخلاق**" "**تجارب الأمم**" و"**الحكمة الخالدة**". إذ يشير أركون في هذا المستوى أن مسكويه "**قد امتلك نزعة أنساوية Humanisme تحريرية اشتملت سمات لبيرالية إذا صح القول: اتجاه الموضوعات المبحوثة في الدين والاجتماع البشري واتجاه المنهجية وهي منهجية عقلانية لم تقتصر على الفلاسفة بل شاركهم فيه حتى المتكلمون بما في ذلك الأشاعرة**" [3] يرى أركون أن القيمة الفكرية لمسكويه تكمن في بحثه في مختلف المواضيع التي تخص الذات الإنسانية العارفة بما ذلك المنهجية العقلانية الدقيقة، وهذا كان نتيجة احتكاكه وانفتاحه على حقول

[1]–محمد اركون :الانسنة والاسلام مدخل تاريخي نقدي،مصدر سابق،ص37.

[2]– محمد أكون :الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، مصدر سابق، ص 250.

[3]–رضوان السيد :المصادر الإسلامية في دراسات محمد أركون، المشروع وطرائق التعامل والنتائج ضمن كتاب محمد أركون الباحث والإنسان، حلقة نقاشية نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2011، ص24.

وآفاق الثقافات والحضارات الأخرى خاصة الحضارة اليونانية.

كما ويؤكد أركون قائلا:"**فقد كان فكره يحتوي بالفعل نزعة إنسانية (هيومانيزم) بمعنى أنه كان يعتبر أن على الإنسان أن يحقق نفسه على هذه الأرض في بعديه العمودي والأفقي، وبالتوتر نفسه والكثافة نفسها (بمعنى أن عليه أن يحقق ذاته ككائن روحي وكائن مادي)**"[1] يدعو مسكويه الإنسان في هذه العبارة بأنه حتى يحقق ذاته في هذا الوجود عليه بالجمع بين فضائله الروحانية والجسمانية لبلوغ السعادة التامة.

وكما يذكر أركون أن مسكويه كان ملما بالمبادئ الفلسفية والأخلاقية التي تؤثر على سلوك الإنسان في حياته اليومية، إذ يقول أركون في خضم هذا الطرح "**ذلك لأن مسكويه كان ميالا للفلسفة أكثر من غيرها، لكنه لم يكتب أو يتفلسف بشكل تجريدي في الفراغ بل كانت ثمة تبادلات وتفاعلات بينه وبين كتاب آخرين في مجال الأدب، الفلسفة وفي المجال الصوفي وكتبه مليئة بحس الواقعية في النظر والميل للملاحظة العيانية وحب التحقق من الأشياء عن طريق التجريب والبرهان، وإدانة الرذائل والنواقض الشائعة في أناس ذلك الزمان، وهي خصائص تختلف عن خصائص الفكر التقليدي**"[2].

إن مجمل رسائل مسكويه وكتبه خاصة أعماله الفلسفية لم تبقى قابعة في فضاء التجريد وإنما جسدها على أرض الواقع وتناقلت إلى معاصريه الذين كتبوا في مختلف المجالات بحيث اتسمت هاته الأخيرة أي كتب مسكويه بطابعها النقدي وبالتحليل الواقعي للأشياء، إذ لا مجال للإيمان بالجوانب الأسطورية والإديولوجية والعقائدية الدينية التي كانت سائدة في الفكر التقليدي لأنها تخضع الآن لمحك العقل ،إذ تختبر هذه الطابوهات بمعيار عقلي، وعليه فالعقلانية التي تغنى بها مسكويه تجعل فكر الإنسان يسير في منحى الحقيقة.

[1]- عاطف أحمد: النزعة الإنسانية في الفكر العربي، دراسات في النزعة الإنسانية في الفكر العربي الوسيط، مركز القاهرة، دراسات حقوق الإنسان، داط، 1999، ص 183.

[2]- المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

كما أولى مسكويه الاهتمام بالمشاكل الأخلاقية والسياسية فقد عمل مسكويه بحسب أركون على "**تخليص الأخلاق من قيدها الديني المتافيزيقي ليلحقها بالإنسان**" [1] أي تحرير الأخلاق من أسرها الديني المتعالي ومن شكلها الأرثودوكسي وجعلها فضاءا مفتوحا مرتبطا بالسياق الإنساني ومدى فهم هذا الإنسان لذاته وواقعه. يقول أركون " **لقد حررتني قراءة مسكويه والتوحيدي من العقلية الدوغمائية الضيقة هذه العقلية لا تزال مسيطرة علينا للأسف حتى اليوم**".[2]

فأركون يثني على هذه اللحظة التاريخية التي مثلها التوحيدي ومسكويه لقيامهما على التفكير الفلسفي الواقعي وإعطاء الاعتبار للإنسان وحريته الدينية والفكرية ويدعو إلى تبني مثل هذه القيم في المجتمعات الإسلامية المعاصرة لإخراجها من أزمتها التي طال أمدها.

3)- ابن سينا:

لا يفوتنا ذكر تأثر أركون بابن سينا في العديد من توجهاته الفكرية واعتباره أنموذجا لفلاسفة العصر الكلاسيكي، إذ يؤكد أركون أن ابن سينا لخص في جل مؤلفاته المعارف والاتجاهات الفكرية السابقة، لكن دون التقيد بها بشكل حرفي تكراري وإنما أعاد بناءها وأخذ ما انسجم منها مع تفكيره بالنظر العقلي أي اضفاء عليها صبغة جديدة في الفكر الإسلامي.

وفي نفس السياق فقد لاحظ أركون في شخصية ابن سينا ملامح فلسفية واعدة بنزعة انسانية جديدة يقول أركون أن أنسنة ابن سينا تقر " **النضال المشروع الذي يقوم به العقل من أجل استقلاليته الذاتية، وهي تعترف بالرمزانية الدينية بصفتها بعدا روحيا من أجل البحث عن المعنى، وهي تعترف أخيرا بحق**

[1]- مصطفى كحيل: مرجع سابق، ص64.

[2]- محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم، مصدر سابق، ص 330.

الإنسان في مواصلة البحث العلمي القائم على التجريب والعيان. كل هذه الأشياء كانت تشتمل عليها فلسفة ابن سينا أو نزعته الإنسانية وذلك على هيئة بذور كامنة وقابلة للتفتح إذا ما لقيت أرضا خصبة وجوا ملائما"[1] إن أنسنة ابن سينا* ترتكز على سمة أساسية للعقل هي كونه عقل مستقل يرفض الخضوع لأي سلطة كانت، يناضل بمبادئه النقدية الدينية أو العلمية لمراجعة الفكر والقبض على معانيه، وهذا يقتضي مناخا رحبا يحتضن هذا الفكر الإنساوي ومدى فهم ووعي المسلمين لهذا الفكر لكي تنتعش روح الحضارة العربية الإسلامية كلها.

إن اعتراف أركون بازدهار التيار الإنساني في القرن الرابع هجري، غرضه وصل الفكر الإسلامي المعاصر بماضيه الكلاسيكي الذهبي المفعم بالإبداع والحس النقدي العقلاني.

[1] – محمد أركون: نزعة الأنسنة في الفكر العربي، مصدر سابق، ص 20.

* **ابن سينا:** هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ولد في قرية بخارى في(أوزباكستان حاليا) سنة 380هـ – 980م. اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما، عرف باسم الشيخ الرئيس توفي في همدان 467هـ – 1037م، مؤلفاته: الاستشارات والتنبيهات، الشفاء، النجاة ، انظر: مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن – عمان، د/ط، 2012، ص 19.

المبحث الثالث: المرجعية الغربية للنزعة الإنسانية

لا شك أن حركة الأنسنة في الفكر العربي التي بدأت طلائعها مع عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي وامتدادها إلى عصر التنوير ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلادي، أثرت هي الأخرى في فكر محمد أركون، حيث اعتنق مثل وقيم النهضة الأوروبية التي تسمو بالإنسان إلى درجة أعلى في الوجود. هذا ما كرس لانبعاث حوار حضاري جديد عند أركون قائم على التعارف بين التنوير الإسلامي والتنوير الأوروبي.

1)- عصر النهضة:

لقد عرفت النهضة الأوروبية ظهور حركة فكرية هي الحركة الإنسانية كبديل للنظرة اللاهوتية التي صادرت كيان الإنسان باسم الدين وجعلت الإنسان على هامش الوجود ليؤسس هذا التيار الإنساني رؤية جديدة تعلي من قيمة الإنسان وتعترف بشرعيته في هذه الحياة ومدى ضمان حريته في الفكر والإيمان.

وفي هذا المستوى تتحدد عوامل الحركة الإنسية في عصر النهضة حسب أركون على ما يلي:

1. لقد اعتقد الفلاسفة النهضويون والإنسانيون " **أن الإنسان هو مقياس كل شيء وهو مركز الكون وهو المخلوق المتميز المدعو إلى تجسيد إرادة الله على الأرض وذلك بفضل العقل والنعمة الإلهية**"[1] إن هذه الفلسفة النهضوية الإنسية تضع الإنسان في بؤرة اهتماماتها وتجعله مالك لكل حقيقة.

2. تقويض التصور الكنسي ومعارضة التعصب الديني والبحث عن تصورات ونظريات جديدة أقرب إلى الحقيقة كالإشادة بأهمية العقل ومنجزاته العلمية.

[1]- هاشم صالح: مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة،بيروت، ط1، 2005، ص17.

3. التقدم التقني الذي شهدته أوروبا لا سيما، اختراع المطبعة من قبل الألماني **غوتينبرغ** عام 1455، ساهم بشكل كبير في نجاح حركة الإصلاح بزعامة **لوثر** حيث استطاع لوثر نسخ عدد وفير من كتب الإنجيل وأصبحت في متناول جميع طبقات المجتمع وأصبح بإمكانهم مراجعة أخطاء العقلية الدوغمائية الكنسية الصادرة عن الكهنة، وفي هذا السياق نجد لوثر يرفض فكرة وساطة الكنيسة أو رجال الدين بين الله والإنسان، وجعل علاقة الله بالإنسان مباشرة تتجلى من خلال حرية تأويله للنصوص المقدسة.

4. النزعة التفاؤلية الشديدة فالإنسان الأوروبي لا يعرف الاستسلام أو التقاعس عن أداء واجباته في هذه الحياة، ولا يعرف النظرة التشاؤمية التي يعقبها الفشل، وإنما كان يحظى بالسعادة العظمى في قدرته على تغير العالم وإخراجه من الظلمات إلى النور.

ومن بين أهم رواد النهضة الأوروبية الإنسانية الذي نجد له صدى في فكر أركون نذكر:

غوتيه:

لقد عبر الكاتب الألماني الشهير "**غوتيه**" عن النزعة الإنسانية بقوله " **النزعة الإنسانية هي ذلك الجهد المتواصل والمبذول من أجل التوصل إلى أروع صيغة للوجود البشري**"[1] وعليه فالنزعة الإنسانية من منظور غوتيه هي تلك الرؤية الواسعة التي تنزع إلى تنمية الطبيعة الإنسانية من مختلف جوانبها لتحقيق المثل الأعلى للكمال الإنساني.

كما يستشهد أركون بعبارة رائعة "**لغوتيه**" في مقدمة أحد كتبه يقول فيها:" **إن الحقد العنصري أو القومي شيء غريب فعلا، فنحن نجده دائما قويا وعنيفا في الدرجات الدنيا من الثقافة، ولكن ينبغي**

[1]- هاشم صالح ، مرجع سابق، ص 78.

العلم بوجود درجة من الثقافة فوق القوميات المتعصبة حيث نشعر بسعادات الأمم الأخرى ومصائبها وكأنها سعاداتنا ومصائبنا، هذه الدرجة العليا من الثقافة والفكر تتناسب فعلا مع طبيعتي النفسية"[1] يثني أركون على عبارة غوتيه التي تحمل أبعادا إنسانية بامتياز قائلا:"**كم هو جميل كلام غوتيه هذا!! إنه يمثل أجمل تعريف للنزعة الإنسانية قرأته في حياتي، فأنا لا يمكن أن أكون إنساني النزعة إذا ما تعاطفت فقط مع أبناء جنسي وديني وطائفتي وإنما ينبغي أن أتعاطف مع آلام الإنسان في كل مكان، وأيا يكن دينه أو قوميته أو مذهبه"** [2] إن هذا الطرح الذي أدلى به أركون يوحي بنضج العقل الأوروبي في بناء نظام إنساني محرر من كل أنواع الضغائن والنظرة الدونية العنصرية للآخر على اختلاف عرقه، قوميته أو دينه والدعوة إلى التعايش السلمي والانفتاح على الآخر فأصالة الطبيعة البشرية تقتضي مشاركة الناس في همومهم ومشاكلهم عكس ما تقره مقولة **هوبز " الإنسان ذئب لأخيه الإنسان والكل في صراع ضد الكل"** هذه المقولة تكرس للنزعة الوحشية الإنسانية ومبدأ الأنانية أما مقولة غوتيه تشع بروح الإنسانية بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

2)- عصر التنوير:

هو تلك الحركة الفلسفية التي ازدهرت في القرنين 17 و18م وجعلت المجتمعات الأوروبية تدخل في مرحلة جديدة من تاريخها بعدما شهدت أحداث مأساوية وحروب دينية دموية مما أدى إلى الفصل بين التفكير الفلسفي واللاهوتي للحد من هذه الصراعات، ويمكن تحديد الملامح الأساسية لعصر التنوير من خلال:

1. دفع المجتمع باتجاه التنافس والإبداع والمجد في هذا العالم.
2. تبني معيار جديد للقيم علماني الطابع بحيث ينظر إلى العالم على أنه نتاج تفاعليات الإنسان ومحاولاته وتجاربه.

[1]- محمد أركون: نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، مصدر سابق، ص37

[2]- المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

3. التأكيد على ضرورة التعليم ومركزيته، والتعليم المقصود هذا التعليم الدنيوي الذي يخدم الإنسان في هذه الحياة بعكس ما يسعى لتكوينه اللاهوت المسيحي.[1] بمعنى التحرر من السلطة الدينية والسياسية ودعوة الإنسان إلى الإيمان بعقله في الوصول إلى المعرفة والحكم الذاتي على الأمور، وإطلاق العنان له ليفجر طاقته العلمية والعملية.

4. صعود العقل النقدي العقلاني في مقابل العقل الدوغمائي للتحرر من الأوهام والمخاوف العالقة بعقل الإنسان.

5. إرساء قيم من شأنها الإعلاء من الأنسنة الغربية الأوروبية متمثلة في الحرية، الديمقراطية وحقوق الإنسان.

هذا ما جعل أركون يتأثر بالفكر الأوروبي ويعتنق قيمهم التنويرية التي تعطي قيمة للإنسان في هذا الوجود، ولعل أهم رواد الفكر الإنساوي التنويري الذين استلهم أركون توجهاته الفكرية نجد:

إيمانويل كانط:

يعتبر إيمانويل كانط فيلسوف الإنسان بامتياز، فجل خطاباته فيها دعوة صريحة لجعل الإنسان مركزية ذاته بوصفه كائنا عاقلا مستقلا في قراراته بكل حرية. نجد تأثر أركون بكانط في توجهاته التربوية الأخلاقية للإنسان بارز، إذ يعتبره ابرز فلاسفة التنوير الأوروبي والمرجعية المركزية لكل الفلسفة السياسية الحديثة التي أدت إلى ترسيخ حقوق الإنسان وتأسيس الأمم المتحدة والاهتمام بالأخلاق الكونية، يقول كانط على لسان أركون: "**تصرف اتجاه الآخرين بالطريقة التي تحب أن يتصرف بها الآخرون اتجاهك، تصرف اتجاه الآخر دائما وكأنه غاية بحد ذاته لا وسيلة ولا رجل كرسي تتلاعب به كما تشاء، تصرف اتجاهه ككائن**

[1]- أحمد إدريس الطعان، العلمانيون والقرآن الكريم، دار ابن حزم، الرياض، ط1، 2007، ص602.

له كرامته أو كشخص بشري يستحق الاحترام، تصرف في سلوكك اليومي بطريقة تجعل من هذا التصرف وكأنه قانون كوني ينطبق على الجميع، وكأنك تعامل البشرية كلها من خلالك ومن خلال الآخر كشخص يشكل غاية بحد ذاته لا وسيلة".[1]

يقصد كانط هنا أن مبدأ السلوك الأخلاقي الذي يسلكه الإنسان لا بد أن يصلح لأن يكون مبدأ عاما لكل الناس، فالأفعال الإنسانية لا تكون خيرة إلا إذا كانت صادرة عن نية طيبة تجاه الآخرين وليس بغية تحقيق مصلحة نفعية، وإنما تأدية الواجب من أجل الواجب لا غير.

كما يعترف أركون بإحدى مكتسبات الفكر التنويري الحديث لدى كانط، وهي نظرية حقوق الإنسان المتمثلة في حق الحرية والكرامة الإنسانية والدفاع عنها ضد أي تعسف أو استبداد، إلى جانب ذلك يدعو كانط إلى تفعيل الحقوق العالمية أي الارتقاء إلى مستوى الحقوق العامة للبشرية لتحقيق السلام الدائم.

[1]– محمد أركون: نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، مصدر سابق، ص63.

الخلاصة

في ضوء استقراء ما سبق يمكننا القول بأن أركون ابتدأ مشروعه العلمي في التنظير للنزعة الإنسانية من خلال ردها إلى منشأها الأول وهو التراث الفكري، نقصد هنا التراث الإسلامي في القرن الرابع الهجري والتراث الغربي في عصر النهضة في القرن السادس عشر ميلادي وامتداده إلى عصر التنوير ما بين القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلادي. واستنطاق مكوناته ومعطياته إلا أن نظرة أركون للوراء صوب الماضي لا تعني الانكفاء عليه واسترجاع مبادئه بحذافيرها، وإنما اعتمد على آليات منهجية تقوم على التفكيك والنقد وإعادة تجديده والنهوض به أي يستثني نماذج فلسفية وأنساوية تنويرية تستحق الاعتراف، يبني من خلالها العقل الإسلامي المعاصر حداثته.

الفصل الثالث

الأنسنة الأركونية بين النقد والرهانات

المبحث الأول: الأنسنة الأركونية في ميزان النقد

المبحث الثاني: رهانات وآفاق الأنسنة الأركونية

تمهيد:

لقد تعرض محمد أركون للمساءلة النقدية الجادة نظرا للقضايا الفكرية الهامة التي طرحها وأرسى دعائمها في الساحة الإسلامية لسيما مشروعه الأنسنة، وحول هذه الأخيرة انقسم متلقوه من الباحثين والمختصين إلى صنفين فهناك من يرى أن مشروعه غربي استشراقي جاء فقط لهدم الإسلام والتشكيك فيه، كما اتهموه بالأصولية في مقابل ذلك نجد من تلقى أراءه وقرأها قراءة نقدية منهجية واعتبر مشروعه هذا مشروع حداثي بامتياز كونه المخرج الممكن من الأزمة التي باتت تتخبط فيها المجتمعات الإسلامية.

وعليه تتبلور آفاق ورهانات الفلسفة الإنسانية الكونية التي يدعو إليها أركون التي من شأنها تحديث المجتمع الإسلامي المتمثلة في تعزيز القيم الكونية العالمية والتي تتلخص في التنظير للعلمنة وضمان احترام حقوق الإنسان وهذا لن يتأتى إلا بواسطة الإطار السياسي الديمقراطي.

فكيف استطاع أركون من خلال مشروعه الأنسنة فتح آفاق ورهانات جديدة للتفكير رغم التجاذب والتنافر الذي اصطدم به في البيئة الفكرية؟

المبحث الأول: الأنسنة الأركونية في ميزان النقد

عند البحث في حيثيات المشروع الأركوني في الدراسات العلمية والأكاديمية استوقفتني جملة من وجهات النظر المتضاربة في كتابات بعض الباحثين وتقييمهم للموقع الفكري لدى أركون بين موقف معارض ومستهجنا بفكره من جهة وبين موقف مؤيد له من جهة أخرى.

فقد شنت خطابات بعض الباحثين حملة ضد مواقف أركون التنويرية واعتبرت مشروعه الفكري مجرد تبعية للغرب من بينهم "**زكي الميلاد**" الذي يرى أن أركون كان غارقا في معاقل الفكر الأوروبي، حيث "**كان محكوما بالمعنى الغربي الذي يعطى لمفهوم النزعة الإنسانية وهو المعنى الذي يدافع عن المركزية الإنسانية في مقابل المركزية اللاهوتية ويحاول إحلال مركزية الإنسان بدل مركزية اللاهوت أو العقيدة الدينية**" [1] بمعنى أن أركون وقع تحت وطأت مديونية المعنى الإنساني للغرب بإصطلاح "**مارسيل غوشيه** " الباحث الفرنسي المعاصر، فأركون كان مدينا للغرب في الفكر والمعرفة، كما يؤكد أن أركون حين يتحدث عن التجلي الحقيقي للأنسنة في السياق الإسلامي الكلاسيكي يلحظ أنها تمثل فترة نزوع نحو العلمنة فهذا " **الربط بين الأنسنة والعلمنة عند أركون يضيف تشككا واحترازا، وفي مثل هذه الحالة تكون العلمنة بمنزلة العقيدة للأنسنة بشكل لا يمكن الوصول إلى الأنسنة بدون العلمنة وهذه هي الإيديولوجيا بتمامها**".[2] في هذا السياق يلحظ" **زكي الميلاد**" أن أركون وقع أسير الإيديولوجيا رغم محاولته الفرار منها وذلك عبر دمج الأنسنة بالعلمنة، ويجبذ لو استلهم النزعة الإنسانية من منابع القرآن الكريم على غرار " **علي شريعتي** " و "**هشام جعيط** " فالرؤية الأركونية للنزعة الأنسنة حسب زكي الميلاد من هذا المنطلق تعكس الموقف العدائي للدين، أما الناقد الشيخ "**ليث العتابي**" ، فيرى أن أطروحات محمد أركون ما هي إلا مجرد نقل مبستر وفكر مجتر لأطروحات مفكري الحضارة الغربية، حيث يقول أن مشروع أركون "**لا يحمل أسس المشروع كونه عبارة عن نقولات من كتابات كتاب أوروبا في عصر النهضة والتنوير ولملمة لآراء رواد عصر الإصلاح الأوروبي وخليط من آراء جملة من المستشرقين، وحصر لبعض المصطلحات التي أخذها هنا وهناك**" [3] ويضيف نقده قائلا: "**إن المشروع الأركوني لم يملك آليات الإصلاح بقدر ما حمل آليات نقد فقط، ولم يملك قابلية التطبيق بقدر ما حمل من تنظير، ولم يحمل**

[1]- زكي الميلاد: الإسلام والنزعة الإنسانية، كيف نعطي النزعة الإنسانية قوة المعنى؟ مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2013، ص53.

[2]- المرجع نفسه، ص58.

[3]- ليث العتابي، مرجع سابق، ص ص17-18.

فهما للواقع بقدر ما كان يحمل من مثاليات" [1] بمعنى أن مشروع أركون حسب الشيخ " **العتابي** " ما هو إلا مشروع طوباوي لا يمت بصلة بالواقع لأنه مستمد من المناهج الغربية التي هي مناهج صعبة المنال في تطبيقها على أرضية الإسلام" أما الباحث " **محمد بن سعيد السرحاني** " وجه سهام نقده للإنتاج الأركوني على غرار رأي الشيخ " **ليث العتابي** " في أن المتمعن في منهج أركون ودعوته " **يجد أن لم يأت بجديد وإنما هو ترديد لمقولات دعاة التغريب من قبله، ولكن بثوب جديد محمل بطائفة كبيرة من المنهجيات وفي وسط من ركام من المفاهيم والمصطلحات الغامضة ليتفق مع من سبقه في حربهم على الثوابت الشرعية".**[2]إن المشروع الفكري "**لمحمد أركون**" في نظر هذا الباحث مجرد ولاء وتبعية لدعاة التغريب أمثال بطرس البستاني وطه حسين، لكن بصبغة جديدة مثقلة بتوجهات وأساليب الحضارة الغربية ليخوض أركون مع من سبقه المعركة ضد الهوية العربية الإسلامية ومقوماتها المستقلة.

" **وإذا كان عداء المستشرقين واضحا وجليا في مواقفهم من الإسلام، فإن خطورة من سار على نهجهم من تلاميذتهم ممن ينتسبون للإسلام كمحمد أركون أشد خطرا وأكثر أثرا"** [3] إن نظرة أركون للمستشرقين فيها نوع من التناقض والتلاعب أو المخاتلة التي تضّل وعي القارئ العربي المسلم، فبالرغم أن أركون ينقم عليهم في استخدامهم للمناهج التقليدية في دراستهم للإسلام إلا أننا نجد البصمة الإستشراقية حاضرة في فكره وهنا مكمن الخطورة في كون محمد أركون ذا الأصول الإسلامية سار على خطى هؤلاء وتبنى أفكارهم في الساحة الإسلامية.

بالرغم من هذه الأحكام الرافضة للمشروع الأركوني إلا أننا نجد بعض الكتابات قد أبانت عن مضامين نقدية هامة وبناءة تستنطق خطاباته القيمة وتنفتح من خلالها على إمكانات جديدة للتفكير نذكر أهمهم:

" **علي حرب** " الذي يؤكد أن النقد الذي يوجهه لمحمد أركون ليس من باب التهجم والإقصاء لأقواله وأطروحاته وإنما النقد هنا بالمعنى الفلسفي أي قراءة أعماله الفكرية قراءة تأويلية تفكيكية كما يعترف بأنه مدين لمحمد أركون فيما ينتج ويكتب، حيث يدلي بقوله " **إني لا أنتقد أركون من منطلق دوغمائي بل أتعامل مع نتاجه بعقل منفتح ولذا فأنا لا أدخل عليه مسبقا دخول المعترض المنكر لما يقوله، وإنما أطالبه بمصداقية آراءه وبرهانية مقالته وصلاح إستراتيجية العلمية، لا بد أن أعترف بأني ممن يتوفرون على قراءة أركون ومطالعة كتبه وتتبع نتاجه وبخاصة ما ينقل منه إلى العربية"**[4] ويضيف في عبارة أخرى " **وأنا أفيد منه فائدة**

---

[1]- ليث العتابي: مرجع سابق، ص08.

[2]- محمد بن سعيد السرحاني: الأثر الاستشراقي في موقف أركون من القرآن الكريم، د/ط، د/س، د/ب، ص 42.

[3]- المرجع نفسه، ص63.

[4]- علي حرب: نقد النص، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط6، 2005، ص17.

مزدوجة يتمثل وجهها الأول في إطلاعي من خلال قراءته إلى ما يتح لي الإطلاع عليه من نتاجات الفكر العربي المعاصر (..) **أما الوجه الثاني من وجوه الفائدة فيتمثل في إفادتي من تطبيقاته لمناهجه في دراسة التراث الإسلامي فأنا أفيد حقا من ثمار مباحثه واستثمرها بدوري فيما أبحث فيه**" [1] إن علي حرب يشيد بالثراء المعرفي لأركون وخاصة ما يتعلق بالإبداعات الفكرية للضفة الغربية بما فيها المناهج التي أثقلت كاهل كتبه التي جعلها ركيزة في البحث والتنقيب في مضامين التراث الإسلامي.

وفي مقاله تحيه في ذكرى أركون يقول" **من يقرأ أركون يدخل إلى عالم فكري جديد بقدر ما يخرج من قوقعته أو يستيقظ من غفلته، وهذا شأن الفيلسوف والمفكر المحترف الذي يستغل بصناعة الأفكار إنه يوقظ قارئه من سباته، بقدر ما يذهب به إلى أماكن لم تكن منتظرة ولا متوقعة إن نصوصه تحترق عقل قارئها لتهز قناعاته وتخربط عاداته الفكرية فتكشف له عما كان يجهله من أمر ثقافته ومجتمعه، بقدر ما تحمله على إعادة النظر بمفردات وجوده كالحقيقة والمعنى والهوية والأصل والدين...**"[2] يؤكد علي حرب أن خطابات أركون الفكرية فيها نوعا من الجدة على غير الخطابات المألوفة ذلك أنها ترتكز على آليات جديدة للتفكير سواء في المصطلحات أو الأدوات أو المناهج المعرفية التي توجه مساره العلمي.

كما أثنى الباحث "**جورج كتورة**" هو الآخر عل العطاء الفكري لمحمد أركون قائلا عنه:" **أنه شخصية كانت على جانب كبير من القلق الشخصي والقلق على المحيط الذي نذر نفسه ليكون معبرا عنه، وداعيه فاعلا لدفعه على طريق الحداثة التي آمن بها، وعمل جاهدا لتبني أفكارها وجعلها طريق حياة عامة تدخلنا في هذا العصر وفي قيمه وإشكالياته، وهذا ما جعله يشكل أفكاره وقيمه مستندا إلى تراث عميق استل لنفسه منه تيارا حاول أن يبرزه على ما عداه :التيار الإنساني أو الإنساوي ليكون ذلك طريق لفهم الماضي ولإحياءه أيضا ولجعله قريبا من القارئ العربي الحديث**". [3]

---

[1]- علي حرب: مرجع سابق،ص17.

[2]- علي حرب: "تحية في ذكرى أركون" ضمن مجلة لوغوس، دار كنوز، تلمسان، العدد 1،2012، ص07.

[3]- رضوان السيد وآخرون: مرجع سابق، ص146.

إن أركون حسب "**جورج كتورة** " حاول ربح المعركة الحضارية من خلال معالجة أزمة العقل العربي ودفعه إلى مسايرة روح العصر بما يقتضيه من مستجدات حداثية، حيث أخرج الكنوز الفكرية للتراث الإسلامي من غياهب النسيان لسيما عنايته بإظهار الإنساوية العربية.

ويضيف الباحث ثناءه على هذا المفكر العظيم " **لقد اشتغل على إرثه فأعطى وأصاب وجعلنا نحن محبين ومعجبين ، أو مجرد ناقدين له أمام سلة كبيرة من مؤلفات سنحتاج باستمرار إلى العودة إليها للاستزادة ولمواصلة طريق أقل ما يقال فيها أن رسمه كان في محله الصحيح**" [1] يؤكد الباحث في هذا الصدد أن الإنتاج الفكري الذي تعج به مكتبة أركون العلمية جعلته يحظى بمكانة مرموقة لدى قارئيه خاصة في الأوساط الأكاديمية الغربية، حيث يراودنا الفضول المستمر إلى التطلع لمشروعه التنويري، كما يسمح للجيل اللاحق بإبداع أطروحات جديدة تستند في طرحها على أرضية الإرث الأركوني.

كما يرى الباحث والناقد "**مخلوف البشير**" أن فكر أركون يمتاز بطابع الجدة والتميز حيث يقول " **لم يكن أركون كسابقيه من حيث الطرح العلمي، بل تجاوزه إلى البحث في الجذور والمكونات المعرفية ومختلف القطائع التي صاحبت وأطرت هذا الفكر على مدار قرون من الزمن مستعينا في ذلك بأحدث ما وفرته أدوات المعرفة العلمية والإبستيمولوجية والنظرية بما أسماه علوم الإنسان والمجتمع، محاولا بذلك تطبيقها على المجتمع الإسلامي من أجل تقديم فهم أعمق وأشمل لملامح هذا المجتمع وبنيته**" [2] وتكمن الجدة في مشروع أركون حسب ما أدلى به الباحث في استقصاءه واستكشافه للموروث الإسلامي بالاستناد على مناهج وأدوات ومصطلحات غربية تمكنه من دخول عالم الحداثة.

ويضيف الباحث في عبارة أخرى " **إنها العقلية الثاقبة لمحمد أركون زعيم التنوير الإسلامي بعد ابن رشد التي استعملت أدوات الحداثة من أجل إبراز صورة الإسلام الحقيقية ونزعته الإنساوية المغيبة**". [3]

---

[1]- رضوان السيد وآخرون: مرجع سابق، ص147.

[2]- مخلوف البشير: قراءة في فكر محمد أركون ضمن مجلة الحوار الثقافي، مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم، جامعة مستغانم، عدد ربيع وصيف، 2012، ص 09.

[3]- مخلوف البشير: مرجع سابق، ص14.

المبحث الثاني: رهانات وآفاق الأنسنة الأركونية

يؤكد أركون أن بزوغ ثقافة إنسانية في المجتمعات العربية الإسلامية لن يتحقق إلا من خلال التأسيس لجملة المفاهيم الحداثية المتمثلة في العلمنة، احترام حقوق الإنسان، الديمقراطية.

1)مفهوم العلمنة عند أركون:

يحدد محمد أركون مصطلح العلمانية من خلال البحث الإيتمولوجي (علم أصول الكلمات) " **فإن كلمة laicos اليونانية تعني الشعب ككل ما عدا رجال الدين، أي بعيدا عن تدخلهم في حياته، في لاتنية القرن الثالث عشر نجد أن laicos تعني الحياة المدنية أو النظامية كما كانوا يقولون في ذلك الحين**" [1] ويواصل أركون تحديده لمفهوم العلمنة " **بأنها أولا وقبل كل شيء إحدى مكتسبات وفتوحات الروح البشرية**" [2] بمعنى أن العلمنة هي الإطار الذي يجعل العقل البشري أكثر تفتحا وتطلعا لخصوصيات الفترة الراهنة ويؤكد أركون أن العلمنة ترتبط بالدرجة الأولى بعمليتي الفهم والمعرفة إذ يقول " **لقد حدثت عمليات تحريف في الماضي، تحريف للواقع وتزوير له إلى حد أن الإنسان اضطر للنضال والكفاح من أجل اكتساب حقه العميق في المعرفة والفهم، ضمن هذا الخط النضالي من اجل الفهم والتعقل تعقل الأشياء ومعرفتها يندرج تاريخ العلمنة بالضبط**"[3] نفهم من هذا الطرح أن العلمنة أحدثت قفزة نوعية في تاريخ المجتمعات البشرية، إذ نقلت الإنسان من الفضاء العقلي القروسطي إلى الفضاء العقلي الحداثي وأصبح بإمكان الإنسان القيام بالمراجعة النقدية المستمرة لجميع المعارف التي كان ينظر إليها على أنها الحقيقة المطلقة والكاملة "**إن العلمنة تصبح عندئذ بالمعنى الواسع والمنفتح للكلمة موقفا حرا أمام مشكلة المعرفة، ثم محاولة إيجاء القواعد والوسائل الملائمة لتوصيل هذه المعرفة إلى الآخرين هذه هي العلمنة وهذا هو تحديدي لها**" [4] تهدف العلمنة إلى البحث عن الكيفية لتوصيل المعارف والحقائق عن واقع الآخرين بشكل حر مع الحرص على عدم الهيمنة على عقول الناس بالأساليب الكلامية الخفية.

---

[1]- محمد أركون : تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2،1996، ص291.

[2]- محمد أركون : العلمنة والدين، مصدر السابق، ص 09.

[3]- محمد أركون : تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مصدر سابق، ص293.

[4]- محمد أركون : الإسلام، أوروبا الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، مصدر سابق، ص 103.

العلمنة في الإسلام:

وإن كانت قضية العلمنة في البلدان العربية الإسلامية متخفية الحضور وتشكل نوعا من اللبس والغموض عند بعض الفئات الإسلامية المتخلفة المانعة معا باتا لقابليتها في التعلمن إلى حد وصفها المفكرين الفرنسيين بالاستثناء الإسلامي، وإن اعتقد **الجابري** بفكرته في أن " **مسألة العلمانية في العالم العربي مسألة مزيفة بمعنى أنها تعبر عن حاجات بمضامين غير متطابقة مع تلك الحاجات** (...) **ومن الواجب استبعاد شعار العلمانية من قاموس الفكر العربي**" [1] أي أن أمور كالديمقراطية، الحاجة إلى الاستقلال، ضمان الحريات والحقوق العامة هي مطالب موضوعية ومنطقية عند العقل العربي، لكن بمجرد التعبير عنها بأطر علمانية تفقد شرعيتها.

فإن أركون عكس ذلك لا يمل من الدعوة إلى ضرورة تبني فكرة العلمنة وحضورها في المجتمعات الإسلامية واعتبارها قيمة إنسانية وممارسة حياتية، ذلك أنها تتيح معالجة المشكلات المطروحة التي يعاني منها المجتمع الإسلامي يوميا وفك الجوانب المظلمة التي تكتنف العلاقات بين المجال الديني والدنيوي بالتحديد زحزحة تلك الرؤية الدوغمائية اللاتاريخية التي تسعى إلى قولبة معنى العلمنة بدل فهمها بالشكل الإيجابي. كما يؤكد أركون " **أن الإسلام بحد ذاته ليس منغلق في وجه العلمنة ولكي يتوصل المسلمون إلى أبواب العلمنة فإن عليهم أن يتخلصوا من الإكراهات والقيود النفسية واللغوية والإيديولوجية التي تضغط عليهم وتثقل كاهلهم ليس فقط بسبب رواسب تاريخهم الخاص بالذات وإنما أيضا بسبب العوامل الخارجية والمحيط الدولي وعليهم لكي يتوصلوا إلى ذلك أن يعيدوا الصلة مع الحقيقة التاريخية للفكر الإسلامي في القرون الهجرية الأربعة الأولى**" .[2]

من هذا المنطلق يشير " **أركون** " إلى نوعين من العلمنة، علمنة نضالية ضيقة في مقابل العلمنة المنفتحة ذات البعد التنويري:

1)العلمانية النضالية:

يرفض " **أركون** " العلمانية النضالية الإيديولوجية المنغلقة التي تعكس الصورة السلبية للحداثة والتي تشكلت في

[1]- محمد عابد الجابري : الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1996، ص113.

[2]- محمد أركون : العلمنة والدين، مصدر سابق، ص ص 59، 60.

الغرب أثناء القرن 19 والتي تلغي كل المسائل الدينية من المحيط التعليمي في المدارس ويستشهد أركون بنموذج " **مصطفى أتاتورك** " في تركيا، حيث يقول أركون أن علمانية " **أتاتورك** " تشبه " **تماما الأوساط العلمانوية الفرنسية الضيقة لا العلمانية المنفتحة أقصد أوساط المناضلين ضد الكهنوت بعنف الذين يريدون إبعاد كل إشارة للدين في المجتمع... والواقع أنه لا يمكن أن ننعت موقفا كهذا " بالعلماني" وإنما بالعلمانوي اللامتسامح إنه موقف إيديولوجي عدواني، ومغلق يقابل موقف رجال الدين أو الكنيسة الذي لا يقل عنه تعصبا وانغلاقا**" [1]. فأتاتورك فرض الموقف العلماني على شعبه بنوع من العنف القسري والإكراه، فلقد " **ألغى التقويم الإسلامي الهجري، ثم ألغ الحروف العربية في الكتابة مما نال من المناخ السيميائي * التصوري لشعب بأسره، ثم حل وزارة الشؤون الدينية، وكل الجمعيات الدينية وألغى تدريس الدين في كل المدارس**"[2] ينتقد أركون هذا النوع من العلمنة التي طرحها أتاتورك في سياسته ويعتبرها بمثابة منهج إيديولوجي صارم في طمس الأعراف والتقاليد والمرجعيات الدينية للمجتمع التركي، وكذا النظر إلى الطرح العلماني عامة من زاوية فصل الدين عن الدولة، ومن ثم يقول أركون عن تجربة " **أتاتورك** " " **رغم كون التجربة قد ذهبت بعيدا في جرأتها لكنها في الواقع لم تكن إلا كاريكاتورا للعلمنة** " [3] وعلى هذا الأساس يوضح أركون في عبارة صريحة له " **ولذلك أقول أن العلمنة التي أدعو إليها في العالم الإسلامي ليست مضادة للدين، وإنما هي فقط مضادة لاستخدام الدين لأغراض سلطوية، إنتهازية أو منفعية**" [4] بمعنى أن العلمنة التي يسعى أركون إلى تأسيسها على أرضية الإسلام لا تهدف إلى الخروج عن الدين أو التخلي عن العقائد الدينية وإنما إعادة تأسيس العامل الديني وإخراجه من الاستخدامات الإيديولوجية.

2)العلمنة المنفتحة:

لقد أعاد أركون بلورة مضمون جديد للعلمنة ينفتح على أبعاد الذات الإنسانية بما في ذلك البعد الروحي والديني وكذا الثقافي والتاريخي. "**دون أن تكون هناك سيطرة لبعد على بعد آخر، مما يعني ضرورة فصل**

[1]–محمد أركون: العلمنة والدين: مصدر سابق، ص ص 91، 92.

* المناخ السيميائي : المقصود به مناخ العلامات والرموز والعادات والتقاليد المحيطة بالبيئة الأولى للإنسان أنظر: محمد أركون: من فيصل التفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟، تر: هاشم صالح، دار الساقي، ط2، 1995، ص171.

[2]– محمد أركون : تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مصدر سابق، ص ص 277، 278.

[3]– المصدر نفسه، ص 278.

[4]– محمد أركون : الإسلام، أوروبا الغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، مصدر سابق، ص 203.

مختلف ذرى الوجود الاجتماعي عن بعضها البعض" [1] بمعنى العلمنة التي يدعو إليها أركون تشمل على كل جوانب حياة الإنسان ذلك "**أن الإنسان لا يعيش فقط بالماديات والاستهلاك المادي فقط وإلا لكان كالحيوان، الإنسان بحاجة إلى أن يتجاوز شرطه المادي من وقت لآخر لكي يعانق شيئا آخر أكثر دواما واتساعا، أي أقل عبورا وآنية** " [2] بمعنى أن هدف الإنسان أكبر بكثير من أن يقتصر على الحاجات البيولوجية يتمثل في شيء أكثر بقاءا وهو البعد الروحي، فالمجتمعات الإنسانية ما كان لها أن تؤسس واقعها لولا وجود العامل الديني باعتباره مكونا ثقافيا لا يمكن تجاوز تأثيره في مسارنا التاريخي، لذلك ينتقد أركون الفكر العلماني النضالي "**الذي يختزل الدين إلى مجرد بقية أو بقايا من التاريخ، فرفض الدين أو حذفه من برامج التعليم قد ولد جهلا ضارا بالبحث النقدي عن المعنى**" [3] ينتقد أركون التعليم التقليدي للدين لأنه يرسخ لدى الطلاب وعيا قروسطيا طائفيا وبالتالي فهو مضاد للنزعة الإنسانية التي تعترف بالتعددية الدينية والمذهبية لهذا ألح أركون على تطبيق المنهجية الأنثروبولوجية الدينية أي دراسة مقارنة لكل الأديان واستخلاص العوامل المشتركة فيما بينها.

يستشهد أركون هنا بالموقف العلماني المعتزلي " **فالمعتزلة عالجوا مسائل فكرية أساسية انطلاقا من ثقافتهم المزدوجة المرتكزة على الوحي الإسلامي والفكر اليوناني، كما أدخل المعتزلة بعدا ثقافيا ولغويا في طريقة طرحهم مسألة خلق القرآن واعترفوا بمسؤولية العقل ودوره في فهم النص الموحى له وامتلاكه**".[4]

2)حقوق الإنسان:

يرى أركون أن العالم الإسلامي في ظل حقوق الإنسان يبقى في الصدارة، فأصول حقوق الإنسان لا تقتصر على التراث اليهودي والمسيحي وإنما نجد الإسلام سباقا لطرح قضية حقوق الإنسان طالما أن النصوص الدينية (القرآن والسنة النبوية) تحدثت عن ترقية الإنسان وتحريره من العبودية وتفعيل مبدأ التضامن واحترام الحريات الشخصية وحرية المعتقد...الخ فهذه كلها حقوق نص عليها الإسلام إلا أن البشر انحرفوا عنها بسبب التفسير المغلوط للتركيبات الثيولوجية التي تحولت إلى أرثوذكسيات ضيقة يقول أركون " **لا يمكن أن نخرج من هذه**

---

[1]- فارح مسرحي: الحداثة في فكر محمد أركون، منشورات الإختلاف، ط1، 2006، ص 130.

[2]- محمد أركون : الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، مصدر سابق، ص 262.

[3]- محمد أركون : القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001، ص59.

[4]- إدريس ولد القابلة : جولة في فكر محمد أركون، www.nashiri.net، 2003، ص 11.

التركيبات الثيولوجية القروطسية والحساسة التي تؤبدها في النفوس إلا بواسطة التوكيد على حقوق الإنسان بالمعنى الواسع والحديث للكلمة" [1] وينوه أركون في هذا الصدد إلى نقطة مهمة وهي أن " **في المجتمعات الغربية والإسلامية توجد شبيبة صاعدة واعدة غزيرة العدد وهي تحلم بمستقبل أفضل، كما أنها واعية لمسألة حقوق الإنسان فهي ترى ما يحصل في المجتمعات الأوروبية (عن طريق وسائل الإعلام أو بشكل مباشر) وترى كيف ينعم أبناؤها بحقوق لا يتمتع بها هي في مجتمعاتها وعليه تحس هذه الشبيبة بخيبة أمل وما هو أكثر من خيبة أمل**" [2] يؤكد أركون هنا أن هناك فئة واعية في المجتمع الإسلامي لها الرغبة في إبداع شيء جديد على غرار المجتمعات الأوروبية تتمثل في احترام الإنسان وضمان حقوقه إلا أن أفكارها في التأسيس لذلك محدودة تكتفي بتشكيل جمعيات لحقوق الإنسان لأنها تصطدم يوميا بضغوطات سياسية ولدت صراعات عنيفة دفعت ثمنها تلك الشبيبة الحالمة بالتغيير والتجديد، وعليه فإن سبب بقاء مبدأ حقوق الإنسان مجرد شكليات في الساحة الإسلامية يرجع إلى تلك الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الضاغطة.

ونستذكر في هذا السياق " **الإعلان الإسلامي الشامل لحقوق الإنسان في 19 أيلول عام 1981 خلال جلسة رسمية في اليونيسكو بمبادرة من المجلس الإسلامي** " [3] ومن المبادئ التي نص عليها الإعلان هي:

1-لقد وهب الإسلام العالم مدونة قانونية مثالية لحقوق الإنسان، منذ أربعة عشر قرنا، وغرض هذه الحقوق أنها تمنح الإنسانية الشرف والكرامة، وأن تلغي الاستغلال والإضطهاد والظلم.

2-إن حقوق الإنسان في الإسلام متأصلة تأصلا قويا في الإقتناع بأن الله والله وحده هو خالق القانون ومصدر جميع حقوق الإنسان وبالنظر إلى هذا الأصل الإلهي لا يجوز لأي قائد أو حكومة أو جمعية أو سلطة أن تقيد أو تلغي أو تنتهك بأي طريقة حقوق الإنسان التي منحها الله.[4]

---

[1]- محمد أركون : الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، مصدر سابق، ص 315.

[2]- المصدر نفسه، ص 318.

[3]- محمد أركون : نافذة على الإسلام، مصدر سابق، ص183.

[4]- المصدر نفسه، ص 184.

إن هذا الإعلان يعطي الاعتبار الأول للشخص البشري وضمان قيمه الروحية والأخلاقية التي هي من صنع الإله وهبها للإنسان باعتباره خليفة له في الأرض، فلا يجب استبعادها من ساحة النقاش.

كما يؤكد أركون أن " **النضال من أجل احترام حقوق الرجل والمرأة والطفل أصبح الآن حقيقة واقعة أو حاجة ملحة في جميع البلدان أو الأنظمة التي يهيمن عليها الإسلام وتراثه وتشريعاته**" [1] لهذا فهو " **يقترح مجموعة من الآليات التي ينبغي توافرها لضمان الحد الأدنى من احترام حقوق الإنسان والسعي إلى ترقيته، أهم هذه اللآليات ضرورة توفير فرص التثقيف الحديث للإنسان المسلم وفتح آفاق التبادل بينه وبين غيره من مختلف الثقافات الأخرى دون تفضيل ثقافة رسمية وتهميش أو عزل لثقافات شعبية شفهية**"[2] لهذا فإن ترسيخ النزعة الإنسانية في مجتمعاتنا الإسلامية يتطلب الإيمان بحقوق وواجبات الإنسان وصون كرامته بكل مسؤولية وتوفير فضاءات الحوار وفرض منطق العقل التواصلي بين الآخرين للحد من أشكال النبذ المتبادل، فهذه الأخيرة هي الدافع إلى ترقية حقوق الإنسان واحترامها.

3)الديمقراطية:

يؤكد محمد أركون أن المجتمعات الإسلامية كانت سباقة إلى الدعوة للديمقراطية وأن جذورها الأولى موجودة في القرآن الكريم عن طريق تشريعه لمبدأ الشورى،ولكن حسب أركون " **هناك فرق كبير بين الديمقراطية بالمعنى الحديث للكلمة وبين الشورى، فالشورى محصورة بالفئة العليا من كبار المسلمين، في حين تشمل الديمقراطية جميع المجتمع دون استثناء ودون النظر لمذاهبهم وأعرافهم وقبائلهم وبالتالي فإن الشورى تظل سجينة الفضاء العقلي للقرون الوسطى، في حين أن الديمقراطية تنتمي إلى الفضاء العقلي للحداثة، ولكن يمكن تطوير الشورى وتوسيعها لكي تشمل كل شعب وعندئذ لا يعود هناك فرق بينها وبين الديمقراطية**" [3] يبين أركون في هذا الموضع أن الديمقراطية مطلب سياسي واجتماعي قابل للتعميم على جميع البشر وهي تعترف بالتعددية المذهبية والثقافية عكس الشورى التي تقتصر على فئة معينة من المسلمين لكن يمكن

[1]- محمد أركون : الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1، 1999، ص 232.

[2]- فارح مسرحي: مرجع سابق، ص 140.

[3]- محمد أركون : قضايا في نقد العقل الديني، مصدر سابق، ص168.

أن تتسع دائرة الشورى لشمل جميع البشر إذا انفكت من سياجها التقليدي وبالتالي تصبح في كفة واحدة مع الديمقراطية.

ويضيف أركون في جانب آخر " **أنه لا يمكن ضمان الحقوق الروحية والأخلاقية والثقافية لشخص البشري إلا بواسطة نظام ديمقراطي ودولة القانون**"[1] إن الديمقراطية باعتبارها كيان سياسي ينظم العلاقات بين الدولة والمجتمع وتسعى لإيجاد أفضل الحلول كتحقيق المواطنة، المساواة بين الأفراد في الحقوق والواجبات أمام القانون، ولا يمكن حسب أركون " **أن توجد ديمقراطية حقيقية دون أن تحصل في المجتمع مناقشة مفتوحة، حرة، خصبة، نقدية، خلافية ولا يمكن لهذه المناقشات أن تحقق الغايات الإنسانية الرفيعة للديمقراطية إذا لم تدخل التساؤل الفلسفي على أحد مكتسباتها** (...) **ونحن نعلم إلى أي مدى يحذف الموقف الديني الدوغمائي كل تساؤل فلسفي** "[2] يشترط أركون لترسيخ مبدأ الديمقراطية في المجتمع الإسلامي ذلك السياق الفلسفي الذي يؤمن بالتعددية والحرية، فلا بد للمواطن أن يكون حرا في خلق فضاء للنقاش وإبداء الرأي حول المشاكل التي تهمه.

فبعدما كان الإنسان مفقودا لحرية الاختيار في تدبير شؤونه العامة (مكان الولادة، الدين، المذهب، العمل...الخ) فرضت الديمقراطية ذاتها وقيمتها الحقة في استعادة الإنسان لقدراته وإرادته والتمتع بحقوقه كاملة بعد أن سلبت منه لقرون طويلة، ومن ثم نجد أن هناك علاقة وطيدة بين نزعة الأنسنة والديمقراطية ذلك أن " **الأنسنة هي أحد الأسس التي يقوم عليها الفكر الديمقراطي والممارسة الديمقراطية التي لا تقوم بإقصاء شيء مما ينتجه الإنسان أو مما يدفعه إليه قدره**".[3]

---

[1]- محمد أكون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، مصدر سابق، ص 232.

[2]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- محمد أركون : الأنسنة والإسلام، مصدر سابق، ص 35.

خلاصة

من البديهي أن يشكل مشروع أركون سجالا من الاعتراضات والانتقادات، نظرا للجرأة التي لم يسبقه إليها أحد في استعراضه للقضايا المرتبطة بالفكر الإسلامي بشكل حفري ونقدي والاستناد إلى مناهج وآليات ومصطلحات الفكر الغربي وجعلها وسيلة لفهم الواقع الإسلامي آملا أن يأخذ مخططه هذا المسار المستمر إلى التقدم والتطور رغم العوائق والإصطدامات التي يتلقاها.

إن مشروع أركون يحتل الصدارة كونه مشروع حداثي بامتياز يقوم بدور الوساطة بين العرب والغرب وقبول الرأي الآخر والانفتاح عليه، خاصة ونحن في مرحلة حساسة من تاريخ البشرية تتطلب التعايش السلمي والحوار بين مختلف الحضارات وخلق فلسفة إنسانية كونية بقيم عالمية تتحدى العنف والتهجم على الآخر بأسلحة العنصرية والتطرف.

خـــاتمـــة

لا يسعني في الأخير إلا أن ألّم بأهم النتائج المستخلصة من البحث في النقاط الآتية:

-إن المشروع الفكري الأركوني هو مشروع تاريخي أنثروبولوجي في نفس الوقت، يقوم في عمقه على التعرية الأركيولوجية لفهم جدلية الواقع الإسلامي منذ بداياته الأولى، والكشف عن الأنظمة الفكرية التي تتحكم في البنية التكوينية للعقل الإسلامي، كما ويمثل مشروعه نقد العقل الإسلامي ثنائية الهدم والبناء أي تفكيك ونقد تلك التصورات التقليدية وتجريديها من قدسيتها بهدف إعادة بناء عقل المسلم على مسلمات معرفية حقيقية.

-نقطة انطلاق هذه العملية النقدية عند أركون هي العودة إلى التراث لتجاوز تلك المعتقدات الميتافيزيقية والمقاربات الدوغمائية التي علقت بعقول المسلمين إلى حد الساعة، وللعثور على المسائل المجهضة والمستبعدة من ساحة التفكير وإعادة إحياء تاريخها من جديد.

-إن الهدف من التأسيس لمفهوم النزعة الإنسانية والإحاطة بعوامل نشوءها من المنظور الأركوني يكمن في بناء قيم جديدة في الساحة الإسلامية المعاصرة وأول خطوة تمهد لوضع هذه القيم والمحاولات الفكرية الجديدة هي إعادة الإعتبار للموروث الثقافي العربي الإسلامي في القرن 4هـ ذا النزعة العقلانية الإنساوية التنويرية الشبيهة بالأنسنة الغربية في عصري النهضة والأنوار.

-انشداد أركون للماضي وحنينه لنماذج من الأنسنة العربية أمثال التوحيدي، مسكويه وابن سينا ومحاكاتهم في مواقفهم الأنسنية القائمة على التساؤل الفلسفي والحس العقلي النقدي المستلهم من الفلسفة الإغريقية، والتي ساهمت بشكل كبير في نهضة الحضارة العربية الإسلامية في ذلك العصر السحيق.

-إيمان أركون بالتقدم والحداثة الغربية التي اتخذت مسافة نقدية من الرؤية اللاهوتية والموقف الدوغمائي الذي صادر كيان الإنسان لأزمنة طويلة.

-تحديث المجتمع الإسلامي في نظر أركون مرهون بقابليتهم للمكتسبات الراهنة بما في ذلك العلمنة التي تشكل بمبادئها نقلة نوعية للعقل الإسلامي من قوقعته الفكرية التقليدية إلى فضاء يعترف بالتعددية المذهبية والثقافية واللغوية، كما ويشكل مفهوم حقوق الإنسان أحد المفاهيم والأسس الضرورية لتحقيق الموقف الأنسني الكوني فاحترام الحقوق الحياتية للإنسان شيء مطلوب وذلك لن يأتى إلا في ظل وجود كيان سياسي يتبنى الخيار الديمقراطي الذي يسمح للإنسان باتخاذ قراراته بحرية في تسيير شؤونه العامة.

-وبالرغم من الآراء الناقدة لمشروع أركون حول الأنسنة باعتباره مجرد حلم طوباوي، إلا أن أركون يتفاءل بمستقبل أفضل للعالم الإسلامي على المدى البعيد ولذلك كان تواقا لتأسيس أنسنة كونية حقيقية تلامس جوانب الحياة الإنسانية في شموليتها، كما وتؤمن بثقافة الحوار، وإمكانية التعايش السلمي والاختلاف مع الآخر وذلك للحد من المشاكل المجتمعية في العالم العربي الإسلامي بأنواعها والهدف من ذلك خلق نهضة عربية إسلامية تحاكي الغرب في أوج حداثته.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1) أركون محمد : الإسلام، أوروبا، الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2، 2001.

2) أركون محمد : الأنسنة والإسلام مدخل تاريخي نقدي، تر: محمود عزب، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2010.

3) أركون محمد: التشكيل البشري للإسلام مقابلات مع رشيد بن زين وجان لوي شليجيل، تر: هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1 ، 2013.

4) أركون محمد: العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط3، 1996.

5) أركون محمد: الفكر الإسلامي قراءة علمية، تر: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط2، 1996.

6) أركون محمد : الفكر الإسلامي نقد واجتهاد،تر: هاشم صالح ،لافوميك ،الجزائر،د/ط،د/س.

7) أركون محمد : الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1، 1999.

8) أركون محمد : القرآن من التفسير الموروث إلى نقد الخطاب الديني، تر: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001.

9) أركون محمد : تاريخية الفكر العربي الإسلامي، تر: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2،1996.

10) أركون محمد : تحرير الوعي الإسلامي نحو الخروج من السياجات الدوغمائية المنغلقة، تر: هاشم صالح، دار الطليعة ، بيروت،ط1، 2011.

11) محمد أركون: قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟ تر: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت،د/ط، د/س.

12) أركون محمد : معارك من أجل الأنسنة في السياقات الإسلامية، دار الساقي، بيروت، ط1، 2001.

13) أركون محمد : من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1،1991.

14) أركون محمد : من فيصل التفرقة إلى فيصل المقال...أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ ، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط2،1995.

15) أركون محمد : نافذة على الإسلام، تر: صياح الجهيم، دار عطية للنشر، بيروت،ط1،1996.

16) أركون محمد : نزعة الأنسنة في الفكر العربي جيل مسكويه والتوحيدي، تر: هاشم صالح، دار الساقي،ط1، 1997.

17) أركون محمد : نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، تر: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ط1، 2011.

قائمة المراجـــع:

1) أبي نـادر نايلـة : الـتراث والمـنهج بـين أركـون والجـابري ، الشـبكة العربيـة للأبحـاث والنشـر ،بيروت، ط1، 2008.

2) أحمـد عـاطف : النزعـة الإنسـانية في الفكـر العـربي، دراسـات في النزعـة الإنسـانية في الفكـر العربي الوسيط، مركز القاهرة، دراسات حقوق الإنسان، داط، 1999.

3) التوحيدي أبو حيان: الإمتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، د/ط، 2011.

4) الجابري محمد عابد : الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1996.

5) الحسن مصطفى : الدين والنص والحقيقة، قراءة تحليلية في فكر محمد أركون، الشركة العربية للأوطان والنشر، بيروت، ط1، 2012.

6) السرحاني محمـد بـن سعيد: الأثـر الاستشـراقي في موقـف أركـون مـن القـرآن الكـريم، د/ط، د/س، د/ب.

7) السعدي أحمد فاضل: القراءة الأركونية للقرآن الكريم دراسة نقدية ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ط1، 2012.

8) السيد رضوان وآخرون: محمد أركون المفكر والباحث والإنسان، حلقة نقاشية نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012.

9) الطعـان أحمـد إدريـس : العلمـانيون والقـرآن الكـريم تاريخيـة الـنص، دار ابـن حـزم، الريـاض، ط1، 2007.

10) العتابي ليث: جدلية الإيديولوجي والمعرفي، قراءة وتحليل لجملة من أطروحات محمد أركون ، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة ، ط1، 2016.

11) الميلاد زكي: الإسلام والنزعة الإنسانية، كيف نعطي النزعة الإنسانية قوة المعنى؟ مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2013.

12) بلقزيز عبد الإله : قراءات في مشروع محمد أركون الفكري، منتدى المعارف، بيروت، ط1، 2011.

13) حرب علي : نقد النص، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط6، 2005.

14) دلباني أحمد : سفر الخروج، اختراق السبات الإديولوجي في الثقافة العربية أدونيس، إدوارد سعيد، علي حرب، محمد أركون، دار التكوين، دمشق، داط، 2009.

15) صالح هاشم : مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الطليعة،بيروت، ط1، 2005.

16) عبد الكريم ناصر: العقل والاتجاهات العقلانية الحديثة، دار الفضيلة، الرياض، ط1، 2015.

17) مسرحي فارح : الحداثة في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1، 2006.

18) مصطفى كيحل : الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.

19) هاليبر رون : العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب، الجهود الفلسفية لمحمد أركون، تر: جمال شحيد، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2001.

مقالات ضمن مجلة:

1) محمد أركون : نحو تقييم واستلهام جديدين للفكر الإسلامي، مجلة الفكر العربي لمعاصر، مركز الاتحاد القومي، بيروت، العدد 29، 1984.

2) علي حرب: "تحية في ذكرى أركون" ضمن مجلة لوغوس، دار كنوز، تلمسان، العدد 1،2012.

3) مخلوف البشير: قراءة في فكر محمد أركون ضمن مجلة الحوار الثقافي، مخبر حوار الحضارات، التنوع الثقافي وفلسفة السلم، جامعة مستغانم، عدد ربيع وصيف، 2012.

المعاجم:

1) جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب، تونس، د/ط،د/س.

2) مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، د/ط، 2012.

الموقع الإلكتروني:

إدريس ولد القابلة : جولة في فكر محمد أركون، www.nashiri.net،2003.